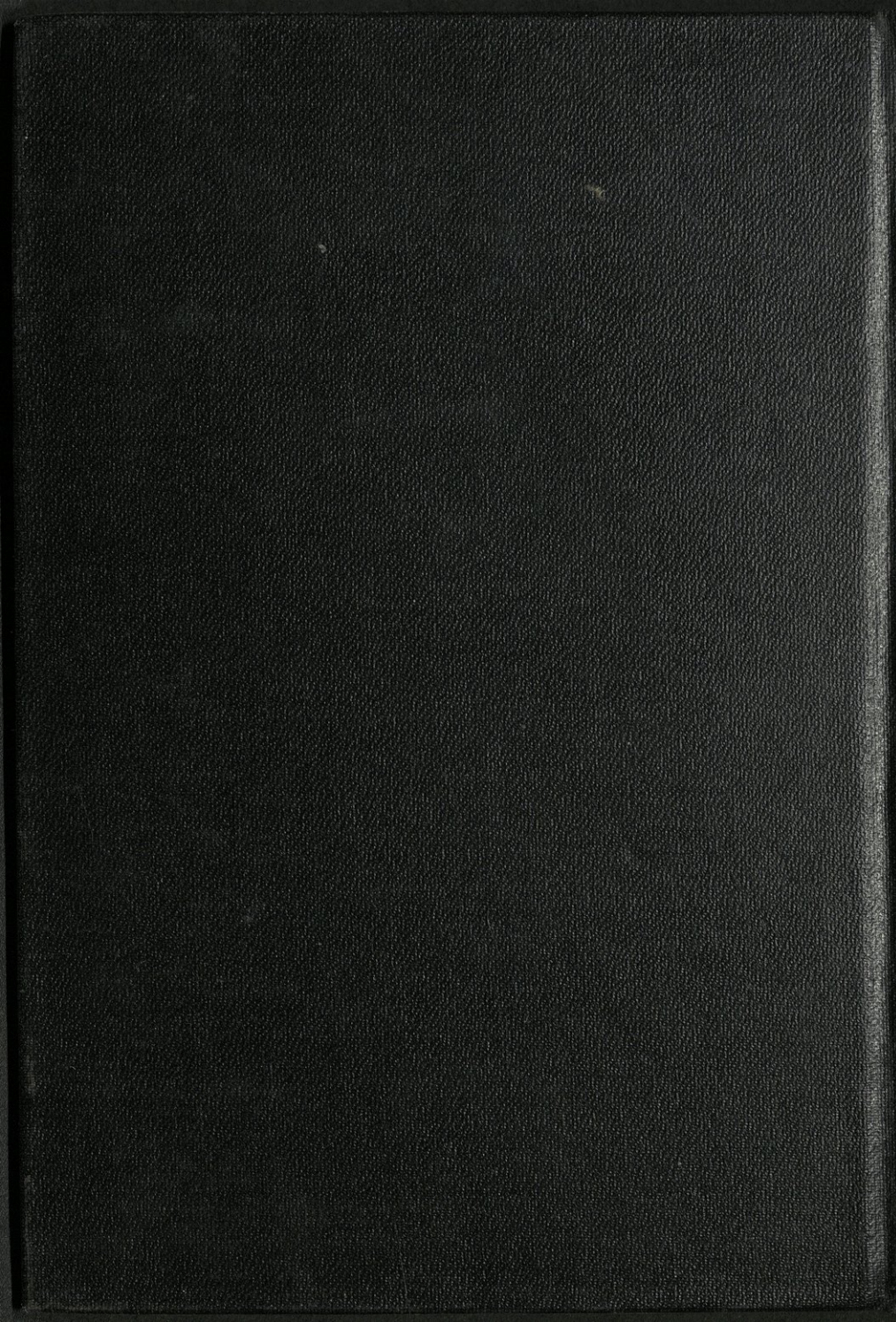
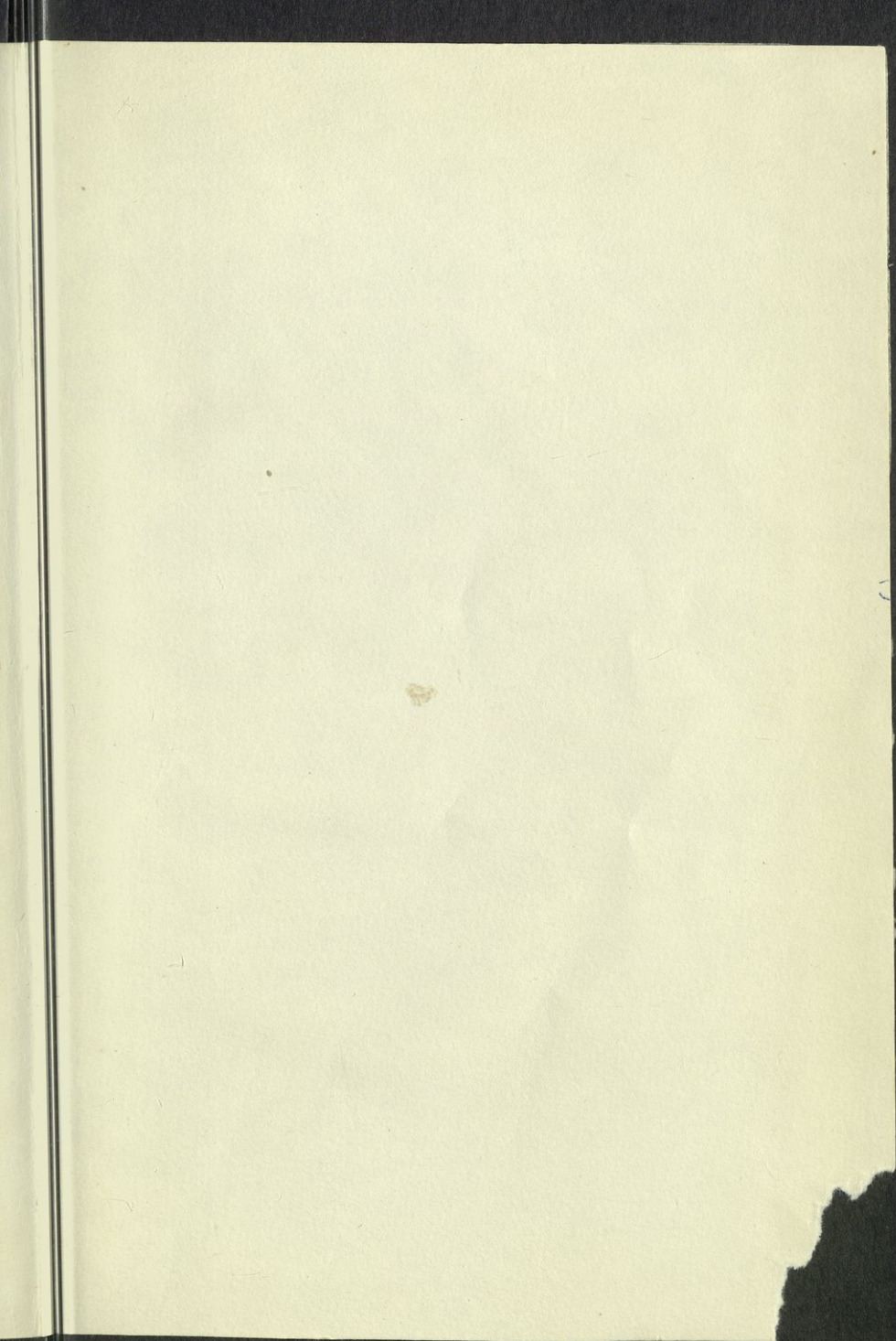


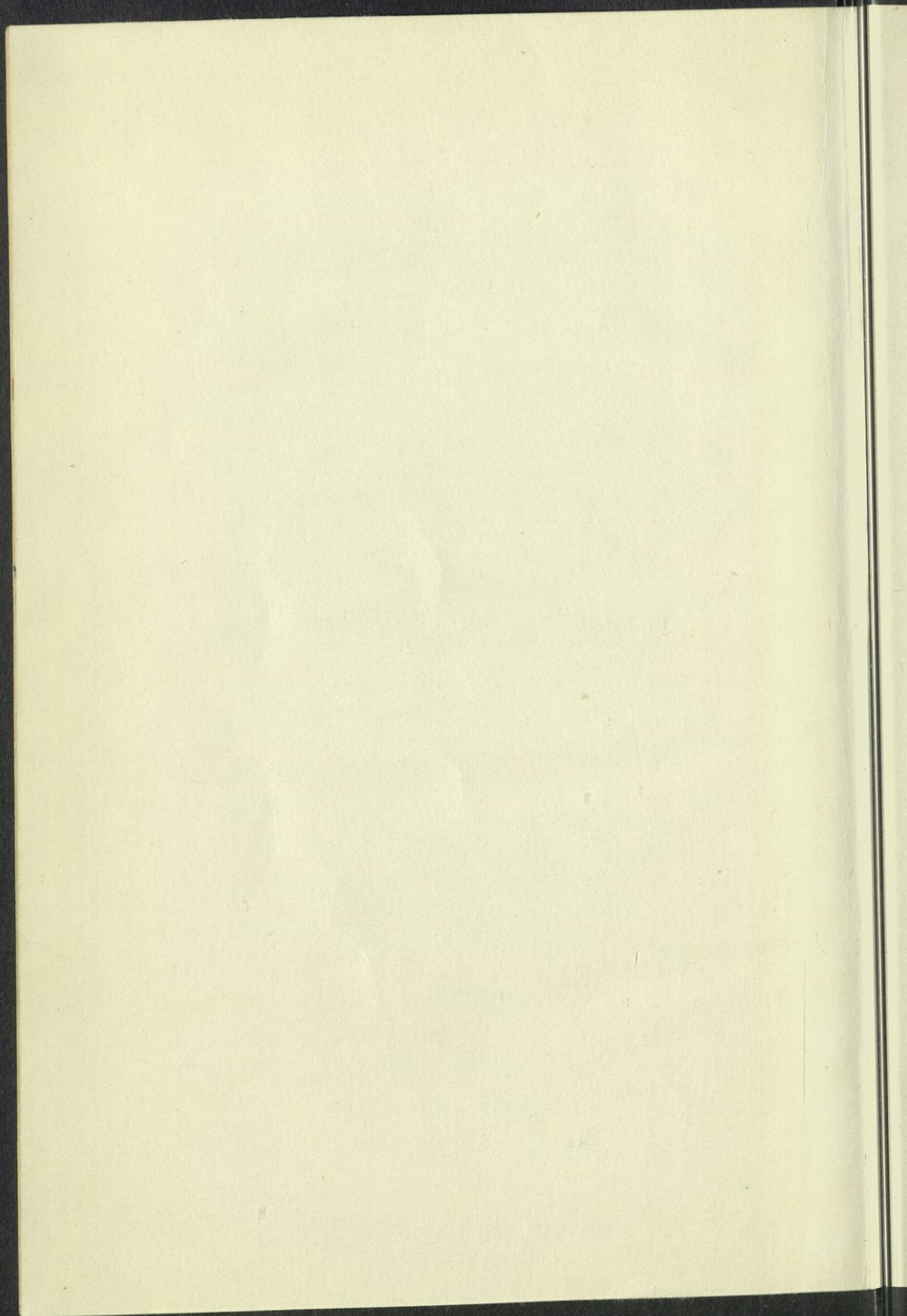




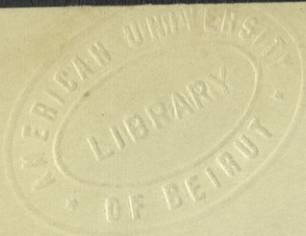


✓





Cat. Jan. 1948



892.73
121a8A
C.2

سید اورسی

أشواق

قصص

الرسم الفنية بريشة "ضوان شهاب"
تأليف "م. م."

67538

دار العلم للملايين

بيروت سنة ١٩٤٧

Cat. Jan. 1948



إلى التي علمني عبداً القصة
إلى ذات التوبة الأزرق
أهدي هذه الباكورة

سهيل





عبدالله

تلك (*) كانت أحب ساعة لديها ، وآثرها الى نفسها . فان تلك
الانعام تتصاعد من الاوتار ، رقيقة مرهقة ، تسو بها الى جوّ نخضل
به امنيات روحها الفنية ، وآمال نفسها النابضة ، المتفتحة رويداً
رويداً للحياة .

كان يلذّ لها أن تجلس الى الراديو في الصباح الباكر ، تستمع
الى نغمات الموسيقى الناعمة ، تنخفض تارة ، مناسبة على مهل ، فتفرق
أحاسيسها في نشوة الهدوء والسكون والاطمئنان ، والاخلاد الى
تلك الغمرة الهائلة من صبرات الفؤاد الحالم ، وتعلو تارة مرتفعة ،
يتسع مداها على درجات ، فتوقظ في نفسها شعور الطموح والحركة
والانطلاق ، ورغبة البلوغ العاجل إلى ما تنزع اليه من لذة الحب
ودنيا الاماني ..

لقد كانت « سميّة » إذ تستمع الى هذه الموسيقى في الصباح
الباكر ، تشعر بانها تتم شيئاً حبيباً الى نفسها : تستأنف حلماً لذّاً
راودها في الليلة الفائتة ، ثم إذا به ينقطع فجأة ، فتقاسي منه مرارة
الحرمان .. أما الآن ، وهي في نشوة الاغانى الموسيقية ، فان ذلك
الحلم ليكتمل فصولاً ويتم ! ..

(*) ترجمها الى اللغة البرازيلية الاستاذ ابراهيم حبيب طنوس ونشرتها مجلة
« Graça e Bella » في عددها الخاص بمدينة « أراشا » .

وكانت سمية تنتهز كل أوقات فراغها من الدرس والتحصيل ،
لتدير مفتاح الراديو على احدى المحطات ، فتصيح الى تلك الموسيقى
الصامتة التي هي أكثر تعبيراً عن خوالج النفس ورغائب الروح من
موسيقى الاغاني . وكانت أكثر إعجاباً وأشدّ ميلاً الى الموسيقى
المفردة الوترية ، كأنغام « الغيتار » و « الفيولنسيل » و « البيانو » .
بيد أنها كانت أعنف حينئذ الى نغمات الاكورديون والكمان . وكان
قد سبق لها أن رغبت إلى والدتها أن تتعلم العزف على إحدى
هذه الآلات ، فتهانوت والدتها في تلبية رغبتها ، حتى ذلك المساء ،
إذ سمعت عزفاً منفرداً على الكمان ، ملك عليها لبها ، وأخذ بجماع
شعورها ، فالت على امها أن تستدعي معلماً يعلمها العزف على هذه
الآلة ، وألحت في ذلك إلحاحاً شديداً . والحق أن والدتها سمية كانت ،
الى ذلك الحين ، تخشى اذا هي استدعت معلماً للموسيقى ، ان تنشأ
بينه وبين ابنتها علائق من حب أو وشائج من مودة ، وإنها لتعلم
مبلغ حرارة الشعور وتيقظ الحس لدى سمية ، فضلاً عن أنها لم
تخس بعد الحب ، وانها متهيئة النفس له ، دانية الفؤاد من معاملته .

*

وذات أصيل ، شقت والدتها سمية الباب على ابنتها تقول بحموية :

- أندرين من بانتظارك يا سمية ؟

فاحمر وجه الفتاة .. لقد كان أول سؤال يطرح عليها ، فيوقظ
فيها ذلك الشعور المتطلع إلى معرفة شاب .. شاب جميل كالنهار
ما فتي ، يرود أحلامها ، ويعبث بأمانيتها .. وتابعت والدتها كلامها :
- إنه معلم الكمان يا سمية .. هو بانتظارك في قاعة الاستقبال .

وسرعان ما خالها شعور تهيب وخشية ، وارتج عليها ، فلم
تدر ما ينبغي لها أن تفعل . وحين رأت والدتها تخرج ، أحسّت أنها
تنساق الى خزانتها ، ثم تنهك بارتداء ثوبها الحريري الاخضر ،
وتصفيف شعرها وتزيين معصمها ، وحين نظرت في المرأة ، طالعتها
لاول مرة صورة فتاة على غاية من الجمال والفننة والجاذبية .. يبد
انها رأت على تقاسيم وجهها ملامح الاضطراب والخوف ، وتلك
الحيرة التي تتعاور المرء يقبل على عمل لا يعرف أنجح هو فيه أم
يخفق ! ..

وخرجت سمية تكاد تتعثر بأذيالها . وكانت على يقين بأن
والدتها تنتظر قدومها ، فتدخلان معاً على معلم الموسيقى .. ولكنها
لم تجدها . ومشت مضطربة الى غرفة الاستقبال حاسبة انها قد سبقتها
اليها .. وإذ فتحت الباب ، نظرت فلم تجد غير شخص واحد . ولم
تشأ أن تراجع ، فتقدمت خطوات ، منتظرة ان يقوم لها المعلم ..
ولكن هذا المعلم المنسحب في زاوية الغرفة امام النافذة ، لم يبد
حراكاً .. فتوقفت سمية لحظة تتأمله عن بعيد ، واضعاً نظارتين ،
محتضناً كانه ، حانياً الى الامام صدره .. ولكن لم لا ينهض ؟
وتقدمت خطوات اخرى ، معتقدة أنه لم يشعر بعد بوجودها ، ثم
بادرته بلمحة عذبة :

- بونسوار يا استاذ !

فالتفض معلم الموسيقى انقاضه راعشة ، ونهض مضطرباً يجيب
بحفوت هامس :

- بونسوار اينها الانسة !

ورآته يمد يده في الهواء ، راغباً في مصافحتها ، فاقتربت حتى
دانت ، ومدت كفها تصافحه . ثم حددت لحظات في وجهه ،
فظلت نظراتها محددة في عينيه .. وأحست أنها ترتعش وتهتز ، وأنها
لن تطيق بعد الوقوف ، فتراجعت حتى استندت إلى كرسي قريب .
إنها لم تكن تنتظر أن ترى شاباً ، أطفئت عيناه ، فهو لا يبصر
النور .. إنها لم تكن تتوقع أن يكون معلمها ضريباً ! .. واذن
فإن هاتين النظارتين ، إنما وضعنا لنستورا عما .. ولهذا لم تر والدتها
حاجة في أن تصحبها ، لتقدمها إليه : هو الاعمى !

... وأخذت سمية تشعر أن خوفها واضطرابها يحولان شيئاً
فشيئاً إلى عاطفة أخرى : إلى أسى وشجو ، بل إلى ألم يشد ويتفام
حتى ليعصف بنفسها عصفاً .. وأحست أن بودها أن تجد نعييراً
لهذا الألم يطفى ، وأنها ترغب في أن تشور وتغضب ، فتمزق ثوبها
الأخضر ، أو تدمي شفتيها ، أو تجرح وجنتيها .. لا .. لا .. بل
إن تبكي فقط .. إن تحذر الدمع ، إن تتأسى وتتغزى بالبكاء من
هذه الحبية التي يبنى بها شعورها لأول مرة ، منذ أن بدأت تشعر ،
وتتحسس ، وتفهم ، وتحيا .

والتفت سمية إلى معلم الموسيقى ، فإذا هو يشد أوتار كمانه ،
وعاد بصرها ، على رعدة ، يحدق في عينيه : جفتين مطبقين لا تكاد
تبين منها إلا شعرات قليلة سوداء لا يخفق تحتها شيء .. أنه لا يرى
شيئاً .. بل هو يرى كل شيء ظلاماً دامساً أبدياً .. أنه محزوم من
تلك النعمة الغالية التي تنقل إلى النفس بهجة الحياة وجمالها وروعها .
وأحست سمية أن غضبها وبأسها ولوعتها تتضاءل كلها حتى

لتزول ، وان جماع عواطفها يستهدف الان هذا الشخص الجالس امامها ، المطبق العينين إلى الابد ، بالرتاء والشفقة والعطف .. لقد كان بودها منذ لحظات ان تبكي لتعزى من خيبة ، اما الان فان بودها ان تبكي لترثي لمعلمها ..

وكان يخطر لها ، إذ كانت تستمع إلى بعض ألحان أولية يعزفها على الكمان ، ان تقترب ، فتجلس بلمصقه ، وتلمس يديه ورأسه وظهره ، وترتب على كتفه ، تحبباً اليه وتودداً .. بل ان الرغبة عاودتها غير مرة في أن تصارحه القول بأنها ستكون صديقه ومعيلته وحاميته إلى الابد ، وان يوسع ان يطلب اليها ما يريد ويرغب بما يشاء .

*

.. وكانت جالسة عن كذب منه ، تتأمله حاني الرأس فوق كمانه ، تروح يده وتجيء بالمعزف على الوتر ، باعثة الانعام اشتاتاً بين هامس خافت ، متمليء الجرس ، او مرتفع على مدى ، رفيق الصوت مرهفه .. وكانت سميّة تنظر الى « شفيق » وملء نظراتها اعجاب بالغ بهذه الموسيقى الرائعة ، تنبثق من بين اصابعه ، فتستهوي الروح ، وتستثني الحواس .

وكان قد مضى عليها شهران تتعلم العزف ، وتتلقن الألحان ، حتى وسعها ان تجلس وحدها ، حين تجد سائحة من وقتها ، فتعزف وتعزف حتى تكل ! وإنما لتذكر الآن ما قاله لها ذات يوم ، بعد انتهائها من توقيع قطعة موسيقية كان علمها اياها :
- ارى يا آنسة سميّة ان استعدادك كبير في الموسيقى ، وارجو

ان افخر يوماً بك !

فشكرته بكلمات رقيقة ، وعزت اليه الفضل كله ..

وما لبثت طويلاً حتى انست به ، فكانت تحدّثه عن كل ما
يجول بفكرها ، فيجيبها بكلمات قصار ، بيد انها كلمات بليغة
كانت تقدرها اعظم تقدير . ولكنها كانت الى ذلك الحين تنفّاذي
ان تتكلم عن شيء واحد ، هو ، على الرغم من ذلك ، يشغل
فكرها ليل نهار ، ويعنّي احساسها ، ويجعلها تعيش في صحراء قاحلة ،
كل ما فيها سراب سراب .. كانت تشعر ان في قلبها فراغاً
كبيراً .. فراغاً مؤلماً تقاسي منه وتعاني ، وتصبو ابدأً الى ان
يمتلئ منه جانب بما يدعونه « الحب » .. هذا الشيء الجميل الرائع
الذي تتداول به لِدَاتُهَا في المدرسة في غمرة من الآهات والشرود ..
هذه العاطفة التي تذوب للتعرف بها .. هذه الاحلام الهائلة التي تغمر
بها روحها في هدأة الكرى ، وتبغم بها شفتيها كما يبغم الاطفال
بانشودة سرمدية ساذجة !

اجل ! كانت قد حدثت معلمها « شفيق » عن المدرسة والدروس ،
والام والامرة ، والكتب والمطالعات .. عن كل شيء ، الا عن
هذا الشيء الذي تحشاه . وكان شفيق قد أجابها ما استطاع الى
ذلك سبيلاً ، فتحدث عن الموسيقى والموسيقين ، وعن تلامذته
الذين يعلمهم العزف ، ولم يأت قط على ذكر ما يمت الى الهوى
.. بصلة ..

وتنبهت سمية من غفلتها ، فانحّت بصرها الى ذلك الشاب
القريب منها يعزف بعض الحانها ، فنظرت الى عينيهِ المطفأتين .

تري ، لو كان يبصر ، افما كان ينظر اليها ، هي سمية ، فيحقد في
عينيها يرى فيها الحنين والشوق ، بل اللوعة والوجد ؟ افما كان يرى
الى جمالها هذا الفاتن ، وجسدها ذلك الساحر ، وقامتها الممشوقة
الملتفة ؟ افما كان يعجب بها ، بل يحبها ، بل يعبدها عشقاً وصبابة ؟
ودنت سمية من معلم الموسيقى حتى اصبحت بلصقه ، واحسنت
بشجاعة تدفعها للكلام عما صمتت عنه الى هذا الحين ، وقالت بصوت
روقيق عذب ، ضاحكة بحوية :

— حدثتني يا استاذ شفيق عن كل شيء ، الا عن شيء واحد ،
إخالك تتعمد الا تأتي على ذكره !
— وما هو ايها الأنسة سمية ؟
فاجابت بعذوبة :

— هو الحب !

ورأته يحتلج وتعروه رعشة ، بيد انه يسارع الى الكلام ليزيل
ما ألم به من اضطراب فيقول :

— اسمع بعضهم يقول ، يا آنسة ، ان الحب شيء جميل ، بل
هو اجمل ما يمكن ان يكون في هذه الدنيا ، وهو اعز ما يستطيع
الانسان امتلاكه ، وأثر شيء لدى العشاق المخلصين ، وان الحب
حين يمتلكه يبلغ ذروة السعادة ، وحين يفقده يؤثر الموت على
الحياة . واسمع بعضهم يقول « بل هو خداع كله ، ليس للانسان
ان يؤمن به .. »
قالت سمية :

— وانت ، يا استاذ ، ما رأيك في الحب ؟

ورأته يعود الى ارتعاشه ، بل بصرت بجسده يهتز اهتزازاً ..
ثم يقول باضطراب :

— الحقيقة يا آنسة انني لم اعرفه .. حتى الان .. ولعلني لو كنت
ارى وأبصر ، كما ترين وتبصرين ، لكنت عرفته ..
وصمت المعلم ، فلم تنبس سميّة .. وطال صمتها ؛ ثم اذا به —
تسمعه يقول :

— وانت ، يا آنسة .. ما رأيك في الحب ؟
— أنا ؟ .. أنا ، مثلك يا استاذ ، لا اعرفه على الرغم من اني
ارى وابصر !

ثم ضحكت ضحكة مكبوتة فيها اللوعة والمرارة . فرفّ على
شفتي المعلم ظل ابتسامة خفيفة ، ونهض بود الانصراف ، فتقدمته
سميّة ، وسمعتها تفتح له الباب :
— الى الغد يا آنسة سميّة .
— مع السلامة يا ... شفيق .

وخرج ... وراح يهبط السلم على مهل : انها المرة الاولى التي
تدعوه فيها باسمه مجرداً ... ولو كان المعلم شفيق يرى ويبصر ، لعلم
شيئاً آخر : لالفت سميّة ، اذ هم بالخروج ، تقبل عليه باندفاع ،
وتمدّ له يداً حارة تنشوق الى المصافحة ، وتحنّ الى ان تضمها بيد
حارة مثلها ..

*

— .. والآن سأسمعك ، يا آنسة ، قطعة موسيقية فرغت امس من
وضعها ، وارجو ان تحوز رضاك .

وانحنى فوق مكانه ، وشرع يعزف القطعة . وارتفعت سميّة
ظهر الكرسي ، تصبح بحويّة واعجاب ، واستمعت الى الموسيقى
تنبعث من المعزف يلتقي بالوتر الحاناً سماوية رائعة ، ومخالت انها
تستأنف حلم الليلة الذي انقطع على زقزقة العصفور امام نافذتها لدن
شعشع الفجر . . انها الآن لترى نفسها في تلك الحديقة الزاهرة
المشرقة ، الملتفة بعبق الازهار يخضّب الاجواء عبقراً وطيباً ،
وأشعة النور تملأ الدنيا اشراقاً وبهجة ، والحان الموسيقى المسكرة
اللذة . . انها في هذا المكان الساحر تنتظر الحبيب ان يصل ، فان
موعده قد حان . . وها هي ذي تنحني فتقطف وردة بيضاء تعبق
عبقراً ، وتستقبله بها ، فتضعها في عروة سترته . . والتفت فجأة . .
انه هو . . ها هوذا مقبل فياض المرح والبشر ، وتهرع هي فتزوي
على صدره ، وتمس في اذنه ان غيبته طالت ، وتعاينه بأرق
الكلام ، فيميل على سمعها يمدّها بمسولات الآمال ، فتبوح له بانها
تحبه من اعماق اعماقها ، وأن كل عرق فيها ينبض بهواه ، وكل
احساس يمور بحبه ، فاذا هو يحوّل قامتها بيديه الحديديتين ، وتلتقي
شفاهها في قبلة منعشة ، طويلة ، ناعمة . .

وتتنبّه سميّة من الحلم ، وتطلع الى معلمها يبلغ في معزوفته
ذروة الفن وغاية الروعة ، وتراه مستغرقاً في عزفه ، داني الوجه
من مكانه ، حتى ليكاد يلتصق ويمتزج به ، وان تقاسم وجهه لتنبض
بتأثرات روحه ، وان قطرات من العرق لتسيل على جبينه وخديه . .
كانت سميّة تحس ان كل شيء فيه يعزف هذه القطعة ،
لا يده وحدها ، وان هذه الحان تتجاوب على صدى مشاعره

واحساساته ، وانه لا يتوصل الى ارسالها الا بمجهود مضمّن تبدو علائمه
في تأثرات وجهه وتشنجات كفيه ..

وأيقنت بعد لحظات ان هذه الاحنان هي التي حملتها الى ذلك
الجو العابق بالاحلام الساحرة ، وانها مطمئنة اليه كل الاطمئنان
سعيدة به غاية السعادة . واستمعت اليه ينهي معزوفته بلحن رقيق
ناعم يرتفع رويداً رويداً ، يدق ويرهف ما سما .. وأحست سميّة ان
شعوراً جديداً يخالجها ، فاذا هي تنهض ، وتأخذ بكفه بين يديها
وتقول بلهجة ثاقبة عذبة :

- مدهشة .. رائعة هذه القطعة يا شفيق !

واحتفظت بكفه لحظات ، بينما كان يتمم شكراً لها . وشعرت
بحرارة متوقدة تلتهب بها كفه . ولاول مرة ، آمنت بان معلمها شاب
تتدفق في عروقه حرارة الفتوة والشباب ..

- وماذا دعوت هذه المقطوعة يا شفيق ؟

- « اشواق » .. يا آنسة سميّة !

اشواق ! .. أترأه حقاً يعبر عما يخالجه .. ؟ انها لا تعلم ! ولكن
الذي تعلمه انها إذ آوت إلى سريرها في المساء ، أحست بانها أصبحت
تحب شفيق « من أعماق أعماقها » ، وان كل عرق فيها ينبض بهواه ،
وكل احساس يمور بحبه .. « وانها لا حاجة لها بعد ، بان تخلد إلى
الاحلام ، فهي قد التقت أخيراً بفتى أحلامها ! ..

*

.. وكانت سميّة تعتقد ألاّ طاقة لها بعد بالانتظار ، وان اربعة
ايام قضاها شفيق بعيداً عنها ، لا يزورها ولا يستأنف تعليمها العزف ،

كانت كافية لان تنزع كل ما علق بصدرها من أسباب الصبر ،
وتقطع في فؤادها خيوط التريث ..

لقد آذنها المعلم انه سينقطع ثلاثة ايام عن اعطاء الدرس لشيء
هام يشغله ، وحين حاولت ان تسأله عن هذا الشيء ، اعتصم بالصمت ،
فلم ترد ان تلح . ولكنها لو كانت تعلم ان غيبته ستورث في نفسها
هذا الحنين المضطرب ، بل هذا الشجو والألم العميق الذي جعلها
توقن ان حب شفيق تمكن من نفسها ، وملك عليها فؤادها ، وكاد
يعيدها إلى جو ذلك السراب والحرمان ... لو كانت تعلم ذلك ،
ما تركته يذهب قبل ان تتفهم السبب ، بل ما دعت قط يهجرها ،
بل كانت تمسك بيديه الحاريتين ، وتحقق في وجهه الفتي الصبوح
وتبوح له بمكنون فؤادها ، وبأنها تريد ان تحتفظ به الى الابد
لنفسها وحبها ..

وأحست سميّة ان هذه الايام الاربعة لم تنقض الا لتزيدها
شوقاً اليه وحباً به . وكانت تقضي جل اوقاتها في تعلم معزوفة
« اشواق » التي وعدت معلمها ان تتقنها في اثناء غيابه ، لتلقيا على
مسمعه حين يعود ..

ولم تكن أقل تيقناً من ان « شفيق » سيقبل بعد حين ، في
ساعته المحددة ، على الرغم من انه تأخر يوماً كاملاً عن موعد زيارته .
فلا شك في ان عملاً قد تقاعده عن الجي . ومهما يكن من امر ،
فان سميّة كانت تعتقد بان عزمها لن يفل : كانت مزمعة على ان
تبوح له بعد عزف المقطوعة ، بحبها له ، اياً كان موقفه منها ومن
هذا الحب .. ستقول له « انني أعبدك يا شفيق ، وانا شغوف بك ،

راضية بحبك ، سعيدة برفقتك كل السعادة » غير انها لم تكن
لنكتب هذا الشعور الخفيف الذي كان يساورها : شعور الحشية
والاشفاق من أن يصدها شقيق ، فيسخر بحبها ، او يقنعها بانها
لا يليق بفتاة مثلها ، طالبة ما تزال ، في السابعة عشرة من عمرها ،
ان تحب استاذها معلم الموسيقى !... وكانت سمية ازاء هذا
الشعور ، تكابد المأ معنوياً شديداً ، بيد انه لم يكن ليشيها عن
عزمها بان تحسر لشقيق عما يراد فؤادها .

... وسمعت طرفاً خفيفاً على الباب ... انه هو ... وسارعت
إلى فتحه خافقة الصدر ، مرتعشة الكيان ، واستقبلته بترحاب
وحفاوة وحديثه ان غيبته طالت . فابتسم ابتسامة خفيفة ، ثم لم
تجد الا ان تحمل الكمان وتبلغه بانها اتقنت عزف مقطوعته ،
وجلس على مقعد قريب وابتدأت العزف .. ولم تلبث طويلاً حتى
استغرقت فيه ، ودنا وجهها من المعزف ، وتجاوبت تأثرات نفسها
على تفاوت الانغام ، وعادتها تلك الرؤى المسكرة الفائضة بعبق
الازهار والطيوب والانوار والالخان ، واستقبلت حبيبها بفرحة
وشوق ..

واذ بها فجأة تتوقف ، حين رأت معلمها ينتفض على ارتعاش ،
ثم ينهض ويتجه نحو الباب ، متمسكاً الجدار حتى يلقه .. وكان بודהا
أن تقوم اليه ، فتمسك بذراعه ، وتعلق الباب ، بل ثقله لتخلدته
عن لواعبها .. ولكنه كان قد خرج ..

وكانت مسرورة على مقعدها .. وأحست بفيض من الدموع
يترقق في محجريها .. وفجأة خطفت بصرها ورقة مطوية بيضاء ،

كانت على المقعد الذي غادره المعلم منذ لحظات .. ففشرتها والرعدة
تهز جسدها ، والدمة تجمد في عيناها ، وانشأت تقرأ :

« إلى الآنسة العزيزة سمية »

« أملي هذه الرسالة على أحد تلامذتي قبل ان أقصد دارك لآخر
مرة ، وقد كان بودي أن انقطع عن زيارتك ، حين ابلغتك انني لن
أتمكن من المجيء لمدة ثلاثة أيام . ولكن الذي ثنائي عن هذا العزم
انك وعدتني ان تتقي عزف مقطوعي الاخيرة في هذه الايام الثلاثة .
فاذا كنت قد قدمت اليوم ، فلكي يتاح لي ان استمع من بين
اناملك التي اعتقد انها مرهفة دقيقة ، الى انبثاق « اشواق » ..
عصارة روجي وذوب مشاعري . ولست أدري لماذا أشعر ،
كلما عاودتني بعض الحان هذه المعزوفة ، أو تخيلتك ، ايها الآنسة
العزيزة ، تعزفينها ، بدمعة كبيرة تطفر الى عيني .. »

« وقد تتساءلن الآن ، لماذا انقطع عن زيارتك ؟ ولا بأس ،
فقد اعتدت ان تقفي مني هذه المواقف ، ولم تشائي ذات يوم ان
تفهميني ، فقد يكون من سوء حظي انني عرفتك ، لانني أحببتك ،
وانت الفتاة الاولى التي احب .. وقد كنت ارجو يوماً ان
تنكشف عن عيني غشاوة العمى ، وينفذ اليهما بعض النور ، لتبينني ،
ايها الآنسة العزيزة ، ما تمور به عيناها من حب لك وصباة
بك .. كنت ارجو أن يقع ذلك مرة واحدة في عمري ، ثم أعود
إلى عملي .. ولكن .. »

« وانك ، ايها الآنسة سمية - وما أثر هذا الاسم لدي - لم
تكوني لتلاحظي يوماً ، كلما قصدت بيتك أو خرجت منه ، أو

حدثتك أو حدثتني ، ان رعشة تعروني ! وإن تكوفي لاحظت ذلك ، فانه لن يعنيك من الامر شيء ، ولن تحاولي ان تفهمي السبب ، وان هذه الرعشة ، انما هي اختلاجة الهوى في اضلعي ..

« وانا على يقين يا آنسة انني لم أكن ازاءك الا موضع رثاء ، ومحل عطف .. وانا أعلم حين كنت احثك انك ترثين لي ، فاختصر الحديث ، وحين كنت ازورك ترثين لي ، فاقصر الزيارة ، وحين كنت اعزف ، ترثين لي ولقطرات العرق تسيل على جبيني ، فلا أدري ماذا أفعل .. وانت كذلك الى الابد : ان هذا الاعمى مسكين حقاً ! .. انه ليستحق الرثاء ! ..

« وقد كنت اخدع عن نفسي أحياناً ، يا آنسة ، فأظن انني أصبحت بمحبك مبصراً ، وان هواك ازال عن عيني الغشاوة .. ولكنني حين كنت ارفع يدي الى عيني أتلمسهما بها ، يدي الواقع فؤادي .. انك ما زلت أعمى وستظل ! وهذه الاشأت من عواطف الحب والالم واللوعة التي كانت تضنني وترمض روحي ، تجمعت عصارتهما بين يدي لتخلق « اشواق » ..

« ولكن الذي لم اكن في شك منه قط ، انك لن تفكري يوماً بان تبادلني هذا الاعمى المسكين عاطفة ملكت عليه نفسه .. ذلك كان اعتقادي وما يزال : فانت فتاة في مطلع العمر وريعيان الصبا ، ومن اسرة غنية ، وتتلقن الثقافة وتدرس ، وتنتظر الى المستقبل نظرة ملؤها الامل والرجاء ، وتطلع الى اليوم الذي تجد فيه شاباً جميلاً ، قوياً ، ثرياً ، سليم الاعضاء ، لا عاهة فيه .. فمن هو ذلك الاعمى الذي أقبل يعكس صفو أحلامها ، ويعبث برويق

آمالها؟! ..

« ولهذا كله ، كنت لا أجد الا انطوي على نفسي ، واكتب دائماً حي ، ولو كنت أعاني من ذلك ما لا تعلمين .. ولهذا كله أيضاً ، صحت عزمي ان انقطع عن كل شيء .. فاني بعد اليوم ، لن اعلّم العزف أحداً .. وسأعيش هناك .. بعيداً .. في كوخ صغير ، لا يليق به الا أعمى مسكين مثلي .. سأنقطع عن كل شيء ، وكم يحرق نفسي ان انقطع عنك ، فاحرم انسك ولطفك ، ويدك الصغيرة الجميلة تضعينها بين يدي الغليظتين ، وصوتك الناعم الرقيق يتنازل فيلفظ اسمي .. ولكنني سأحتفظ أبداً الدهر بشئين عزيزين ، علّهما يحملان بعض المراء والتفريق : اولهما هذا الحب الطاهر الذي تضمه جوانحي لك ، والثاني هذا الكمان .. ولن احتفظ بهذا الكمان الا لامر واحد : هو عزف مقطوعة « اشواق » التي ستظل أضلعي تحفّق بها لك يا .. سميّة .. او لا تسمحين ان أنطق باسمك مجرداً ، ولو مرة واحدة في العمر ؟؟ .. »

« شفيق »

و... ..

و... ..

و... ..

و... ..

و... ..

و... ..

و... ..

و... ..

و... ..

و... ..

و... ..

و... ..

و... ..

و... ..

و... ..

و... ..

و... ..

و... ..

و... ..

و... ..

و... ..

و... ..

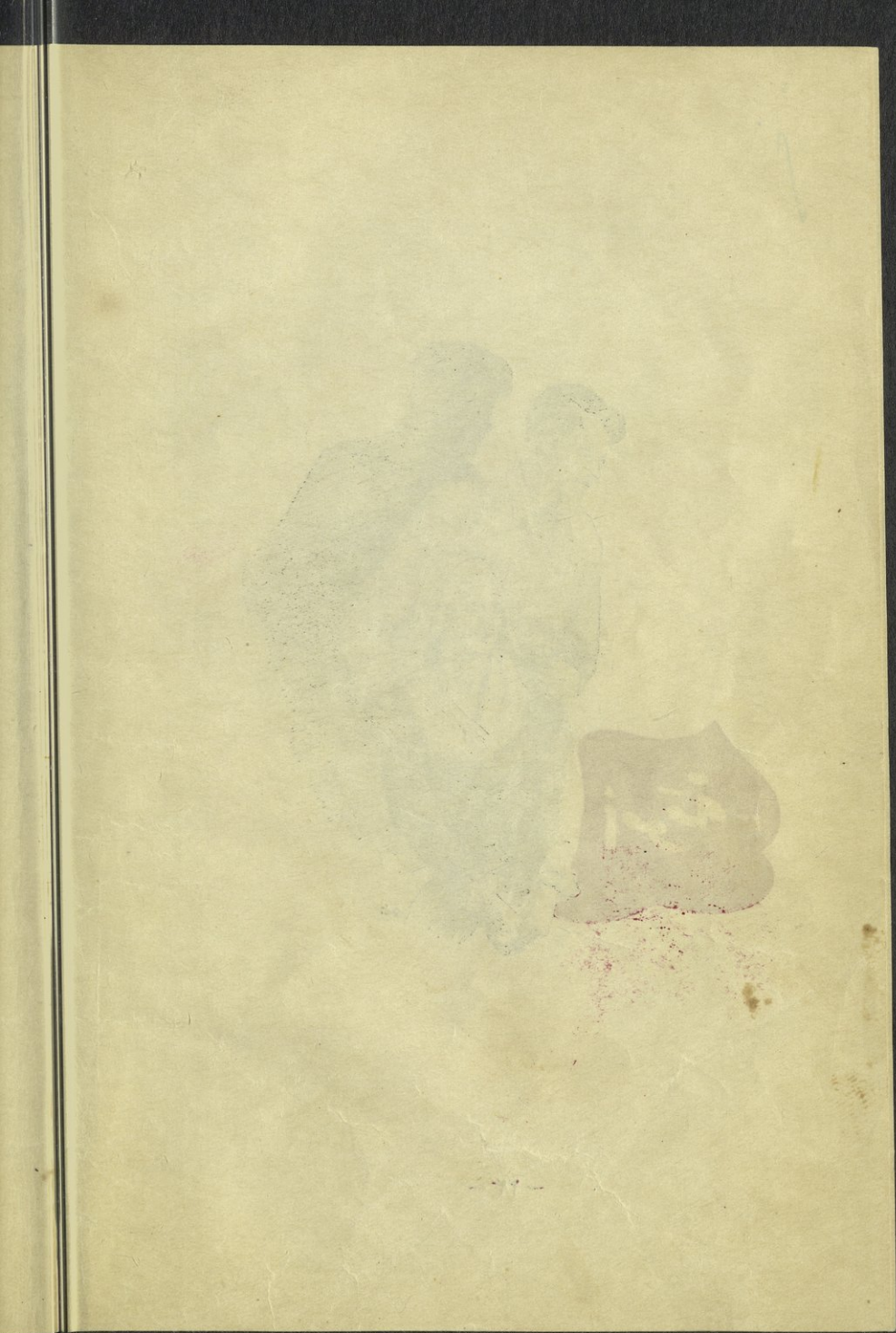
و... ..

و... ..

و... ..

j.





كنت أتأمله معنيّاً كل العناية باختيار أجمل ازهاري وأغلاها
ثمناً وأوفرها شذىً وعطراً .. وكان يهتم بمجموعها وتنسيقها اهتمام
عاشق مدنف يتوسل بها الى إرضاء حبيبته وإعجابها .. إنه اليوم
السابع الذي يدخل فيه هذا الشاب للصباح ، المشرق الوجه ،
الناعم القسّمات ، المرفه النظر ، حانوتي ، فيجمع باقة متضوّعة من
الازاهير وينقذني ثمنها ، ثم يودّعني بطيف بسمه ساهمة ، قبل أن
يتوجه الى المقبرة التي تقع من حانوتي غير بعيد .. ولست أدري
أيّ حافز كان يدفعني لانتظاره ، لأراه بعد حين خارجاً من المقبرة ،
يكفكف بتبديل ابيض دموعاً ترقرت في عينيه ..

إن سرّاً يستكنّ ولا ريب بين جنبي هذا الشاب ، وينطوي
في جانحيته ، فيتملل في ناظريه حيرة واسى وشروداً .. وأحسست
برغبة ملحاح تدفعني في آن واحد لان أطلّع على سره ، وإن اواسيه
وافرّج عنه ، اذا كان ذلك في وسعي . وتهيبّت الموقف باديء ذي
بدء ، فليس بودي ان انكأ جراحات ربما صارت الى الائتئام
والبرء . ولكني دنوت منه اقدم له وردة كبيرة بيضاء ، يضمها الى
باقته ، وقلت له بلمهجة متروّدة ، محتوسة :

— أأؤلمك إن سألتك يا سيدي عن الشخص العزيز الذي فقدت؟
فتنبه من غفلته ، وأنحى اليّ نظرة ساهمة زحرت بالاسى ، ثم لم

يجر جواباً .

- أياكون والدك او عمك او خالك ؟
فأوما برأسه نفيّاً .. قلت : أياكون شقيقك او شقيقتك ؟
قال :

- لا ..

قلت :

- « اذن هي زوجتك او خطيبتك او ..
فعاد يومىء برأسه نفيّاً وقد ارتسم على شفتيه طيف شجو ..
وحررت انا في امري .. ووجدتني في حرج .. اذن فمن يكون ؟
وفجأة فطنت الى انني نسيت ان اذكر شخصاً قد يكون آثر
انسان واعزه لدى المرء .

قلت في لهجة إقرار واقتناع :

- إنها امك اذن ؟

فتلبّث لحظات لا يجيب ، ثم ادنى منه كرسياً قريباً جلس
عليه كأن قواه قد خارت ، وقال بعد لحظات :

- لا .. انها ليست امي .

فجدقت فيه وقد ملأ العجب نفسي ، وهممت ان اقول « اذن
فمن يكون ؟ » إلا انه بادرنى كأنه يستدرك :

- بلى .. انها امي .

فتأملت له وقلت بصوت خفيض :

- انه لمصاب جلل .. فعزاء لك وسلوى ، يا سيدي !

قال وفي صوته ظال من نشيج :

- انت أول من عرف ذلك . فاستمع أحدك بمكنون سري ...

*

« كنت ذات صباح متوجهاً كعادتي الى مقر عملي حيث اشتغل كاتباً لأحد الملاكين . واذ بلغت اول منعطف يفضي الى الغرفة التي أنزل فيها ، ارتفع بصري عفواً الى شرفة دار هناك ، فبصرت بامرأة في سن الكهولة تتبعني ببصرها في اهتمام ، فلم آبه لها، وواصلت سيرتي . بيد انني إذ عدت في المساء ، رأيتها على الشرفة في مثل وقفة الصباح ، كأنها كانت تنتظر عودتي . واعتراني اضطراب فجائي، الا انني لم انقطع عن مواصلة سيرتي الى غرفتي .. وتصمرت ايام لم تكن لتتغيب فيها عن المثلث على الشرفة لدن ذهائبي ومجيبتي .. وكنت لاحظ انها ما فتئت تحدّد اليّ النظر ، وتزداد تحديقاً فيّ . وكنت المس في نظرتها عاطفة مبهمه لم اشعر الا ان فيها طيف حنين .

وانقضت تلك الايام ، دون ان يكون من همي ان ابادلها نظرة تكنّ اية عاطفة .. بيد انني الفيتني ذات مساء مشغول الفكر ، متوزّع البال ، أتساءل في حيرة تمللني : ولكن اي شأن لها بي ؟ وماذا تبغي مني ؟

وعلى الرغم من انني لم اكن اجد مبرراً للاهتمام بها ، فاني كنت احس انها تشغل حيزاً كبيراً من تفكيري . وأحببت ذات يوم أن ادقق في ملاحظتها ، علّني ابلغ بعض ما هو مستعلق عليّ من امرها . ولست ادري ، إذ بلغت المنعطف ، ما الذي دفعني الى ان احني رأسي بالسلام عليها ، فاذا هي تثني على الحاجز ، وتهز رأسها

رداً لتعجبي ، ثم تبسم بسمة لا ادري كيف اصفها : بسمة تحوي عطفاً
وحينئذٍ وألماً . ألم عميق تفسره نظراتها وتترجم عنه قسماً وجهها ..
وكما وجدني اسلم عليها عفواً ، الفيتني اتابع طريقي الى مقر عملي
دون ان يتجاوز الامر ما حدث ..

وفي اليوم التالي ، القيت عليها السلام . فلاحظت عليها تردداً
وحيرة لم ادر مبعثهما . كانت تضع يدها على الحاجز ، ثم ترفعها
الى رأسها لمسحها بها ، ثم تضعها على اعلى صدرها .. كأنما كانت
تريد ان تشير لي اشارة ما ، فيحبسها عن ذلك سبب ما ..
وتابعت طريقي دهشاً ، ولكن خطر لي أن التفت الى الشرفة
قبل ان انقفل في المنعطف الثاني ، فرأيتها ترفع الى عينها المنديل ،
كأنما كانت تبكي ..

وأحسستني لا اطيق ان انحي هذا الامر عن ذهني ، ورأيتني
استغرق فيه عند كل لحظة فراغ ، فأقلبه على وجوهه ، فما أزداد إلا
بعداً عن فهمه وإدراكه .. ولم يهديني حدسي الى اي عمل آتية ،
فيكون لي فيه مخرج من هذا الحرج الكئود .

ومررت عدة ايام اخرى كنت ألاحظ فيها على المرأة الكهلة
علامات الارتباك نفسها ، وسمات التردد عينها .. وكنت اجدني ، انا
الآخر ، مرتبكاً متردداً لا ادري ما افعل .. ولكنني لحظت فيما بعد انها
تكون جالسة إذ ألم بالشرفة ، وانها تجهد في ان تأتي بعض الحركات فلا
يتقدّر لها ، كأنها لم تكن تستطيع ذلك ؛ وقصاري ما كانت تعمله
أن تبسم لي بسمة حزينة ساهمة .. فابادها اياها .. بيد انني شعرت
ذات صباح ، ان من واجبي ان ارى هذه المرأة عن كثب ، وأن

اقابلها ، واتفهم منها ما تبغي ، فقد تكون بحاجة الى عون او مساعدة . ولكنني حين مررت بدارها ذلك الصباح ، كفرت بهذه الفكرة .. ان دارها فخمة جميلة ، فلا بد ان تكون ذات ثراء ، ولا بد ان يكون لها من يعينها على امرها ..

غير انني عدت اشعر وأنا في مقر عملي ، برغبة ملحة في ان اقابلها واستبشها سرها .. وما يدريني ؟ لعلني اصيب منها فائدة ، أنا الذي يعيش في عسر من العيش ؟! وهممت ذات مساء ان اطرق بابها ، ولكن تهيئاً عراني ، فصرفتني عن ذلك .. واعدت محاولتي مراراً ، فكنت أخفق قبل ان تطرق أصابعي الباب ..

وذات صباح ، مررت بالشرقة ، فراعني ان اجدها جالسة على كرسي طويل ، ملتحفة برداء صفيق ، على الرغم من ان الجو كان حاراً ، ولمست ان الاشرار الذي يشرق به وجهها ، كان متلاشياً ذلك الصباح .. ولم تستطع الا ان تبسم لي بسمتها الحزينة .. واذا انا اشعر بالملها ، وبشيء غير الألم .. احسست اني غدت احب هذه المرأة ، وأن وشيجة من مودة قد ربطت بين نفسيها ، وانني القى منها عناية وعطفاً تطيب نفسي بها . وعقدت النية ، اذ اعود في المساء ، على ان اطرق بابها دون ما تهيّب ، وان اواجهها ، واستطلع امرها ، واقول لها ان بوسعها ان تعتمد علي ..

ولكن حدث في ذلك اليوم ما لم اكن احسب : ذلك ان الملاك الذي كنت اعمل كاتباً لديه ، امرني ان اتوجه الى قرية خارج المدينة بود ان يبيع فيها املاكه الواسعة ، ويريدني ان احضر هذا البيع حتى يتم .. وعلى الرغم من انني جهدت وسعي للتعجيل في بيعها ، فاني قضيت

اربعة ايام في القرية، اعين الملاك على مقابلة الزبائن ومساومتهم. وفي مساء اليوم الرابع عدت الى المدينة، وفي نيتي ان اصل ما انقطع من اسباب عزمي على طرق باب المرأة العجوز، ولكنني حين فتحت باب غرفتي لابلد ثوبي، عثرت امام العتبة على مغلف ابيض ..
ووضع الشاب باقة الازهار التي كان قد اتم جمعها، ثم اخرج من جيبه مغلفاً ابيض قدمه الي دون ان يقول شيئاً، ففتحته على عجل، واذا أنا اقرأ :

« عزيزي نعيم ..

« يشاء القدر الظلوم ان يصيبني مرض الموت الذي اشعر به شعوراً جلياً، قبل ان تتاح لي رؤيتك عن كثب، ومكاشفتك برغبتني التي ترمضني منذ وقت غير يسير. لقد اعدت الى نفسي يا نعيم املاً كنت احسب انه تلاشي الى الابد .. لقد كانت احساسيني كلها زهداً بالحياة، قبل ان اراك، فاشعر ان بوسعي ان اجدد املني في الحياة، اذ اجدد حب « فؤاد » فيك .. فؤاد، ولدي الوحيد، الذي طعنني القدر الغشوم بقتله، يوم ضحى به في اصطدام مروّع، حين كان عائداً من كليته يحمل دبلومها النهائي، والفخر والاعتزاز ملء برديه، والرجاء المستطاب طي جانحيه، ففجعت باعز الناس الي في اجمل ايام حياتي، وظللت مصروعة بهول المصاب، اعاني أشد مشاعر الألم، واسلم نفسي للقدر، بعدم في الحياة كما اعدمها في فلذة كبدي .. حتى رأيتك يا نعيم وانت تجتاز الطريق تحت شرفة داري، فنظرت اليك ملياً .. وراحت شفاتي تتمتان على خشية : اليس هو يشبهه ؟ وردد كل ما في : بلى . انه

يشبهه شيئاً عجباً .. انه ينزع الى فؤاد في قامته الفارعة ، ووجهه
المشرق ، ونظره المرهف .. ورحلت انتظر مروك ، احـدق
فيك ، وانا اخشى ان اكون في حلم .. ورحت انعم بروياك ،
فارى « فؤاداً » واسرّ لك ، فاسرّ لفؤاد ، واسـعر بحبك ، فاستعيد
حبي لفؤاد .. وظللت انتظرك صباح مساء ، وكانت اجمل لحظات
حياتي لحظة تمر فتبادلي نظرتي الحسنة .. واذا انا اشعر ذات يوم
برغبة افرحتني وآلمتني بوقت واحد : كانت تقرحني حين اتخيل انك
ترضى بها ، وتؤلمي حين امتلك منصرفاً عنها .. كنت اريدك بقربي
يا نعيم ، اتمس يديك ورأسك ووجنتيك وافضي لك برغبتى في
ان .. تحل محل ولدي فؤاد .. كنت أرغب رغبة مرمضة في ان
تعيش الى قربي تشعرني بحبك ، وتليح لي ان استعيد عاطفة الامومة
التي فقدتها ، فانعم بدفتها .. كنت على استعداد لان أبذل كل
ثروتي في هذا السبيل ..

ولكنني كنت اصطدم أبداً باروع حقيقة : ان امأ
لن تتخلى عن حب ابنها ، وان ابناً لن يتخلى عن حب امه
ولو بُذل مال الدنيا لهما .. والذي كان يفام المي ، انني لم اكن
اعلم عنك شيئاً .. انني لا اعرف الا انك تسمى « نعيم الغالي » كما
افهمني بأوسع الفاكة .. وفي سبيل ذلك ، كنت اجهد في ان
استميلك اليّ ، اذ كنت تـلم بالشرفة . فاحاول ان اومي لك
بالجبي ، فتخونني تحركاتي ، وتحبسيني عن دعوتك خشية الصد ، وخوف
الهزؤ ، فاجتزىه ببسمة حزينة تفرج من كربتى . وانك لم تكن
لتلاحظ يوماً انني كنت ابكي فيك فؤاداً ، وكما غربت عن ناظري ..

انك لم تكن إلا لتزبدي شوقاً وحيناً الى ولدي القليل الغائب ،
اذ لم يكن يتاح لي ان اراك عن كثب . وعلى الرغم من انني لم
أفقد الأمل كله في ان اقابلك يوماً ، فاني كنت احسّ أن الوهن
يفتّ في عضدي ، والضعف يدبّ في كياني ، فاستشعر اقتراب
ميتي .. ولكنني كنت اكتفي برؤيتك مرتين كل يوم ، واتزوّد
من نظراتي اليك بقوة تمسك عليّ رمقي بعض الزمن . كنت
اتحمل المي وضعفي في سبيل ان اخرج الى الشرفة لانعم بمرورك .
و كنت أرجو يوماً أن تشعر بانني اكبد مرهف الألم في البعد عنك ،
فقوليني بعض عطفك .. الى ان اتى اليوم الذي انقطعت فيه عن
المرور ، فقوضت في نفسي آخر خيوط الرجاء والامل !

وارسلت خادمتي تبحث عنك لتنبئك انني قد اوصيت لك بكل
ثروتي واملاكي ، فكانت تصطدم طوال ثلاثة ايام ببابك المغلق ،
وبجواب « لم يأت بعد » في مقر عمالك .. وكان هذا كافياً لان يبدد
آخر آمالي ويذروها هباء .. وامرني الطبيب بلزوم فراشي ، فلزمته
مكرهة ، وعيناي معلقتان بالشرفة تنتظران مجيئك .. وها هو
اليوم الرابع قد اتى ، وانت لما تجيء ، وانا احسّ في كل لحظة ان
الموت ينشب في صدري اظافره ..

فاذا بلغتك هذه الرسالة وانا بعد في قيد الحياة ، فنعمت
هي اللحظة التي تسمح لي فيها أن اراك ، وأن أضحك إلى صدري
آخر ضمة ، فاتذكر ولدي آخر ذكرى .. واذا بلغتك رسالتي ،
وقد طواني الردى ، فلا تنسَ أمّاً فجعت بولدها ، فراحت تلتمس
العزاء في شخص يشبهه ، واحبته .. وطب نفساً يا عزيزي نعيم في

ان تلقي على قبر هذه الام زهرة تطب تربته .. ووداعاً ، يا ولدي
الاخر .. »

« اميرة سالم »

*

نظرت الى « نعيم » الشاب ، وانا اغالب دموعه تأبى الا ان
تطفو من عيني ، ورأيت في عينيه ، هو الآخر ، دمعين كبيرتين
كفكفهما ليتابع حديثه :

« لم اكده قراءه هذه الرسالة ، حتى احسستني اندفع على
عجل ، دون أن ارتدي ثوبي النظيف ، فتسوقني الارض سوقاً ،
وفي صدري أمواج متلاطمة من الهم والعذاب ، وملء نفسي أمل
يتيم في ان اجدها على قيد الحياة ..

ورقبت سلم الدار ، وانا اكاد أنعثر لفرط ما بي من اضطراب ..
وطرقت الباب فبرزت الخادمة وبادرتني بالسكوت ، وراحت تسألني
عما أبغي ، وشعرت انني أدفعها جانباً ، وأتوجه من غير وعي إلى
داخل الدار ، وما لبثت ان رأيتني أمام باب مشقوق ، ما عم
ان خرج منه طبيب ، فإشار الي بالصمت ، وامسك بذراعي وهو
يقول :

— ارى الا تقابلها الآن ... انها في حالة خطرة ..

فغشيتني موجة دعر وخوف ، ولبثت لحظات متقطع الانفاس ،
ولست أدري أية قوة استشعرتها عند ذاك ، فأنجحت الطبيب ،
ودخلت الغرفة بقدم ثابتة ..

رأيتها في سريرها ، مغمضة العينين ، يعلو قسماتها الاصفرار

والشجوب ، هادئة ساجية ، ما تنبس او تريم .. واقتربت من
السري راعش القلب ، واجف الصدر ، ولبت أثامها لحظات ..
وجنت فرحاً ان أرى صدرها يعلو ويهبط بالتنفس ، ثم رأيتها
فجأة تفتح عينها كأنما استشعرت وجودي ، وما لبثت ان حدثت
في ، ثم إذا بوجهها يشرق اشراقه الحنين ، وتهب جالسة في سريها
ثم تمد ذراعيها بقوة وتتعلق بعنقي وهي تصرخ :

- فؤاد .. حبيبي .. روجي ..

ثم اذا بي أحس بغنة بذراعيها تسترخيان ، وتملسان عن عنقي ؟
ويثقل جسدها ، فتهوي على وسادتها ، واذا أنا هوي فوقها ، أتم
وجنتها وجبينها ورأسها ويديها ، وامرغ دموعي في عنقها ، واررد
والنسيج يقطع انقاسي ويسبح صوتي :

- امي .. حبيبتي .. امي ..

وهرع الطبيب يحس نبضها ، ثم التفت اليّ يائساً وهو يقول :
- كان آخر جهد بذلته .. كانت الصدمة شديدة جداً .. لقد ماتت !
قال نعيم ، وقد نهض يحمل باقة الازهار :

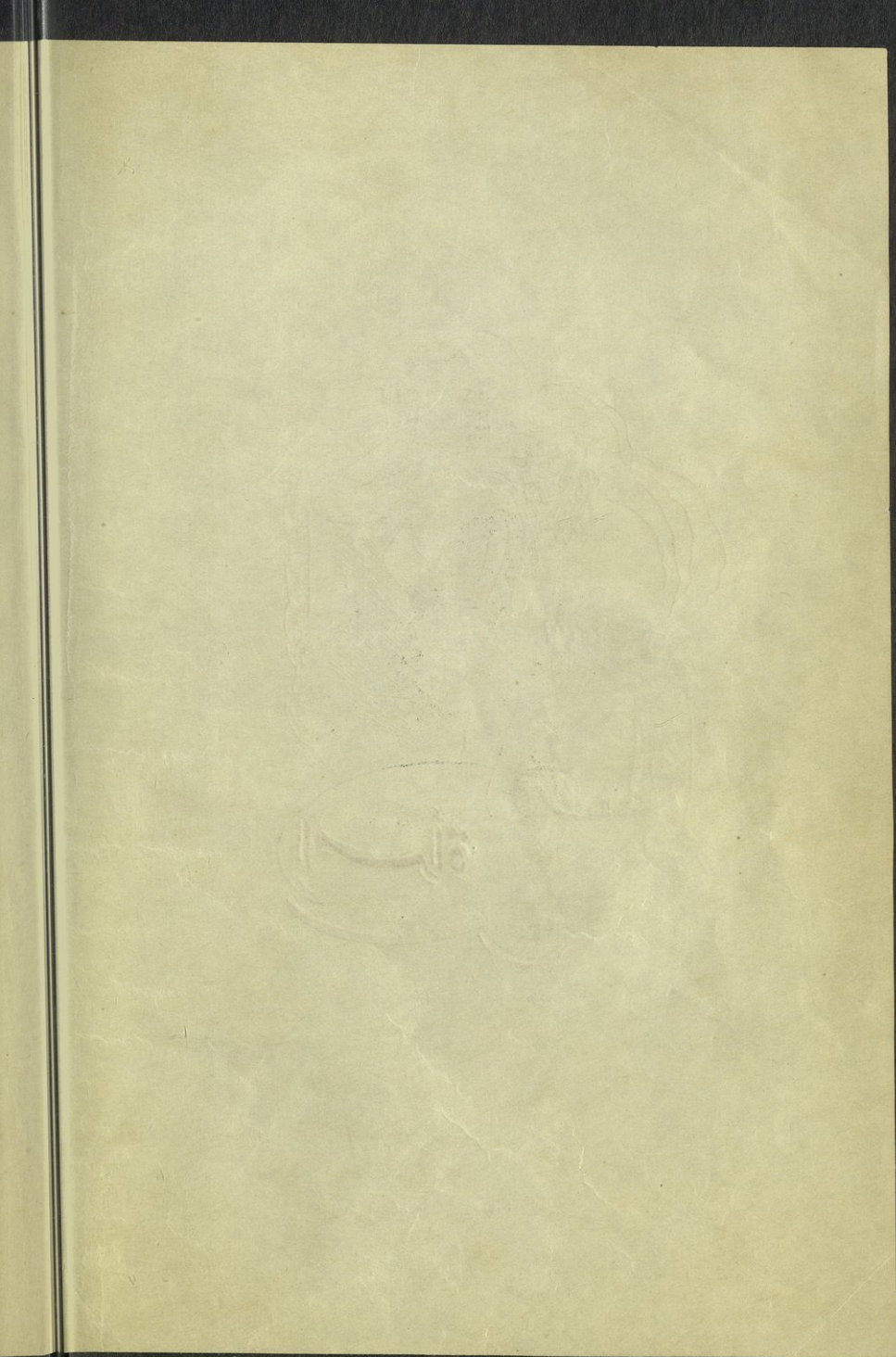
- أجل دعوتها بامي .. لأنني وحيد في هذه الدنيا .. لقد فقدت
أمي وأنا بعد في المهد ، فحرمت عطف الامومة الرؤوم وشعورها
الحادب .. وكتمت لو أن أحداً يعطف عليّ ويحنو عليّ فؤادي
اليتيم ، فينسيني الحرمان واللوعة والمرارة .. حتى اذا أوشكت
على بلوغ هذه الامنية في « اميرة سالم » تعرض القدر الظالم فبدد
لي الامل ، وهكذا فجعت بامي مرتين !

ورفع نعيم منديلته الى عينيه يلتقط دموعاً صبيبة ، لم يستطع لها

دفعاً ، فتناولت بيدي اليمنى اكليلاً جاهزاً من الزهور والرياحين ،
وتأبطت بيدي اليسرى ذراع نعيم ، وخرجت معه الى المقبرة ،
لاضع باسمي باقة ثانية على رمس امرأة ، فجمعت ، هي الاخرى ،
بابنها مرتين ...

والمسلمون من آل البيت عليهم السلام
والمسلمون من آل البيت عليهم السلام
والمسلمون من آل البيت عليهم السلام
والمسلمون من آل البيت عليهم السلام





الفيتني فجأة ، وانا على الشرفة ، معلق النظر بتلك النافذة ،
 انهب بعيني النهمتين محاسن ذلك الجسد ، واملأ من مفاته ..
 كان غصاً كالزهر ، ابيض كالعاج ، رائع التكوين ، منسجم
 التقاسيم ، يحار النظر في اي موضع يستقر منه ، وان كل موضع
 لينافس الآخر سحراً واغراء ..

و كنت لا اصدق عيني ، كأننا انا في حلم .. وراعي انها
 بصرت بي اصدق فيها النظر ، فلم تتحرك ولم ترم ، كأن من شأنها
 ان تعرض جسدها على الناس ، لتصعد من صدورهم آهات رغبة
 مضطربة ، تزيدهم جوعاً واواماً ، وظلت تنظر إلي لا يخفق في
 عينها معنى ، ولا يضطرب شعور ، كأننا عطلت فكراً وحساً ..
 وبغته ، اقبلت امرأة لم اتبين ملاحها ، فنجت الفتاة ، واغلقت
 النافذة .. ومع ذلك ظلت احمق في الزجاج !

*

وعلمت فيما بعد ان هذه المرأة التي نجت الفتاة عن النافذة هي
 امها ، وانها تزوجت ، وهي في الثامنة عشرة ، رجلاً في الاربعين ..
 وكانت ذات جسد متمليء ، وقامة فارعة ، وصدر عريض ، حتى
 ليخيل لمن يراها انها في الثلاثين ، وهي بعد في الثامنة عشرة ...
 والحق ان نموها كان سريعاً ، وان شبابها قد حار وشيكاً ، فبدت

انوثتها على غاية النضج في تلك السن المبكرة . وسرعان ما تنبه
الناس الى انها أصبحت ثمرة غضرة قد حان قطافها ، وانها جديرة
بان تستعد قربنها ، وأن تغمره بهبة كريمة قل ان تجود بمثلها فتاة ..
وكان ذروها يحوطونها بعناية فائقة ، وحرص شديد على ألا
ترتقي اليها شبهة ، وقد بالغوا باحكام النطاق حولها ، بعد ان
استشعروا تهوؤها لمفاتن الشباب ، واستعدادها للانغمار في تياراته
الجارفة .. وكثيراً ما كان والدها يدخل عليها الغرفة فيلفيها
مستغرقة في نشوة حاملة ، وما هي بالمغفية .. وكثيراً ما لمس فيها
رغبة للانطلاق ، وهوى شديداً لأن تهب هذا الجسد الناضج ، ما
هو بحاجة اليه من تحرر ، واندفاع ، ورغبة ..

واقبل من يطلب يدها ، فكانت للوالد نعم الفرصة الملائمة ،
ولم يتردد ، ولم يكن يخشى ان تعارض الام ، وهي مطواع ..
وتمت « سامية » وهي لا تكاد تبين :

- ولكنه كهل يا ابي .. انه في الاربعين !

اجابها بلهجة الامر ، لا راد ل امره :

- ليكن كذلك .. انه خير من هو في سن العشرين أو
الثلاثين ، انه محبك ، وفاهم الحياة .. ثم إنه غني ...

ورضخت سامية ، ولكنها كانت ترضخ الى ما هو اقوى من
ذلك دافعاً ، وأشد غموضاً .. كانت تستجيب لنداء صارخ يهتف به
كيان مكتمل ينشد التمتع ، ويرغب الاستسلام .

وتزوجت سامية رجل الاربعين ، فخيّل اليها انها تسكت النداء
الذي يمور بين أعضائها .. وكان هو في استجابته للنداء ، معتدلاً

رفيقاً ، يضع الامور في مواضعها ، وفي أوقاتها ، ويجرّص على ألا
يحمل نفسه فوق ما تطيق تحمّله .. بيد ان النداء كان يرتفع ويستدّ ،
ما سعى هو ، خليل ، الى الاعتدال والتوسّط ! وحارات سامية
ان تحدّ من سورّتها ، وتطامن من حيويّتها ، فلم تكن تردّاد إلا
سورة وحيوية .. كانت كالصديان ، يرى السرّاب ، فيوقن ان
عطشه لا بدّ زائل ، حتى اذا بلغه ، ازداد صدىً حتى ليكاد يحنّث !
وكان لا بدّ للفجوة ان تتسع .. وكان لا بدّ أن تستشعر هي
الحرمان ، حرماناً يعدّها ويقضّ عليها المضجع ويرمضها . كانت
تشعر ان جسدها يكاد يُدفن في ظلام الموت ، وهو ينشد أبداً نور
الحياة ... كانت تحسّ انها مريضة ، وان هذا الجسد يفتقر الى البرء
والشفاء ، وان الدواء الذي يُعالج به ، ضئيل تافه ، هيّات ان
يُشفى !

ووضعت سامية طفلة ، فحسبت انها شغلت بها عن نفسها ،
وغمرها زوجها بفيض من العطف والحدب والحنوّ كاد ينسيها الذي
بها . ولكن سرعان ما أحسّت بان عاطفة الامومة عاجزة عن ان
تنمّ فيها ذلك الشعور : الرغبة والحنين ، والنهم ... بل إنّ هذا
الشعور بلغ من القوة والامتداد مبلغاً صرفها عن العناية بطفلها ..
وفي تلك الفترة ، دفعها العذاب والحُرمان الى التفكير ..
وطاب لها ان تتفكّر ، وهي تبكي ، وان تسرّي عن نفسها ، وهي
تتعدّب .. اُضحت تنظر الى زوجها خليل نظرة حقد وغيظ وحنق ،
وراحت تنحي باللائمة على ذومها ، وعلى نفسها ، ان ارتضت زوجها
لها ، رجلاً قضى اربعين سنة من حياته يرتشف من منهل الحياة واللذة

ما كان حسبه .. لقد ارتوى ، فقدم يطلب في كنفها ان ينهي
ايامه الباقيات في وداعة وسكون .. واضمحلال ! .. وهي ..
هي المحرومة .. كانت في بدء ارتقاء السلم .. سلم الحياة ، وإن
في إهائها لروحاً تثور ، وقلباً يضطرب ، ودماً يغلي !
كان هو .. يموت .. بينما كانت هي تحيا !

وضحكت سامية ، بيد ان ضحكتها ما لبثت ان تحولت الى
مظهر للالم المبرح ، والعذاب الشديد .. والتفتت . فرأت طفلتها ..
وبكت سامية وتمتمت شفاتها :
.. لولا هذه الطفلة ..

وتصرمت سنوات ثلاث ، كانت الزوجة خلالها تحاول جهدها ان
تلقت الى طفلتها وتحذب عليها ، وتنشغل بها ، وتهبها من حبها
الوانا رقيقة زاهية ، وتحرص على ان تربيها في جو من الرفعة
والدلّ والرفاء .. وكان الزوج هدفاً لسقام لا يزاوله إلا لماماً ،
بسبب ضعف في القلب موروث .. وسرعان ما بدت عليه مخايل
الكبر ، وسمات الشيخوخة ، فكان يحرص على ان لا يأتي المجهود
من العمل ، مجتوئاً بثروة تبعد عنهم شبح الفقر والجوع سنوات
عديدة .

وحين آوى خليل ذات ليلة الى فراشه ، لحظ فجأة ان زوجته لم
تعد مغنية بطلب الوصال لتحقيق لذة الزواج .. والحق ان سامية
اضحت كذلك .. ولكنها كانت تنتقم لنفسها من نفسها ! .. كانت
تمتنع عن مقاربة زوجها ، وتفرّ من وجهه اذا شاء ملامستها ..
كانت تروم ان تمت الشهوة ، وتسكت اللذة ، وتدفن الرغبة الى

الابد .. كانت رتنطوي على نفسها لتشاهد كيف تتألم .. وكانت
تطيب نفساً بهذا الألم ، وتعتبر انها منتصرة ، على نفسها .. كانت
لاني تجالد وتجاهد وتقاوم ، فاذا احسّت انها نجحت ، سكنت
ثأثرتها ، واذا شعرت بالاخفاق ، انفجرت تبكي ، وتذيل الدمع
مدراراً .. وكان البكاء زعيماً ان يؤاسيها ويعزيها من الاخفاق !

ومرت سنوات أخرى كانت كافية لأن تشعر سامية بانها قد
انتصرت أخيراً على جسدها . وراحت الزوجة تولى زوجها المريض
الذي يلزم الفراش منذ سنوات بالغ عنايتها ، وتدرّ عليه من
عطفها ما ينسيه عذاب المرض وهموم الشيخوخة .. وطفقت الام
توجه عناية فائقة بابنتها وداد التي بلغت التاسعة من العمر . وبدأت
عليها مخايل النجاة والذكاء ، وكانت مجلية في الدرس والتحصيل ..
وكان الاب والابنة يتبادلان محبة رقيقة عميقة ، فكان هو يضمها
الى صدره ، ويقول وإن دمعة لتتفرق في محجريه :

- حبيبتي وداد .. يا ذخر أيامي الباقية ..

وكانت هي تتلمس رأسه وجبينه ووجنتيه بقبلات صادقة .

وفي ليلة قارسة البرد ، قضى الاب نحيبه ..

*

وبلغت وداد الخامسة عشرة من عمرها ، فكانت مظاهر انوثتها
تكتمل رويداً رويداً .. ووضحت تُعنى بزيئها وتحرص على ان
تظهر بمظهر جذاب ، شأن جميع الفتيات . وكانت تملأ الدار فتنه
وجذلاً وجوراً . وبما كان يزيد في هئامتها انها كانت تشعر بحب
عميق تبادلها اياه والدتها ، وانها كانت محاطة بالوانٍ من الرفاهية

لا تتمتع لداتها في المدرسة بمثلها ..

وكان جسم وداد ينمو بسرعة ، وما لبث ان فاض على وجهها
سحر وفتنة ، وزين صدرها نهدان فتية ان يطلان بتحدٍ على العالم
الخارجي ، وطالت قامتها ، حتى كانت تجتذب انظار النساء قبل
الرجال .

وظلت وداد تجدد وتحصل ، حتى فازت بشهادة الكفاءة في السابعة
عشرة من عمرها ..

وذات مساء ، كانت ترتدي منامتها لتأوي الى فراشها ، واد
بها تلحظ فجأة ان والدتها كانت تحدق فيها النظر .. فارتعدت
فرائصها ، وقالت تسائل والدتها :

— لماذا تنظرين اليّ هكذا ، يا اماء ؟

فاجابتها امها ، وهي تحاول ان تبسم :

— اصبحت فتاة رائعة الجسديا وداد .. لا بد ..

وتوقفت فجأة لا تتم .. ثم انفتحت خارجة من غرفة ابنتها تقول :

— نامي .. نامي .. ولا تفكّري بشيء !

وضحكت وداد ، ليلتذاك ، ملء فيها .. وبسذاجة !

وذات اصيل ، اقبلت امرأة مسنة تخطب وداد الى ابنها وتعرض
بسبيل ذلك ثروة مغرية يملكها الابن ، وجاهاً عريضاً يتمتع به
وشباباً غضاً لا يعدو الخامسة والعشرين .

وشاء القدر ان تتم الخطبة بسهولة ويسر ..

واقبل الشاب يتعرّف الى خطيبته ، فاستقبل استقبالاً حسناً ،

وقابلته الام بترحاب ، والابنة بنجمل واعجاب ...

وانشأ الفتى يتردد على خطيبته ، فتتوشج بينهما اوامر وثيقة
من حب وود ، والام تبدي في ذلك كله سروراً ورضى ، حتى
كان ذلك اليوم ..

كان سعيد في زيارة وداد قبل اسبوع من موعد العرس ؛
ودخلت الام عليها فجأة في خلوتها ، اذ كانت يحتضنها ويقبلها في
شفتيها ، فاذا بها تتوقف كالنمرة تحديق فيهما لحظات ، وما تلبث
ان تهجم على ابنتها وتأخذ في صفعها وهي ترغي وتربد ..

ويمكث سعيد مبهوراً مذعوراً ، وتنشأ وداد تبكي وتنشج ، وهي
تحاول عبثاً ان تنفادى لطحات أمها . ولا يتمالك سعيد نفسه اذ يرى
خطيبته هدفاً لصفعات شديدة ، فيسرع الى الوالدة وهو يبغى
تهديئة سورتها ، فيروعه ان تنحيه عنها بقسوة وضراوة ، وما تلبث
ان تأمره بالخروج متهددة اياه بقبضة يدها ..

ويخرج سعيد جزعاً يكاد ان يحن عقله !

وحين آوت الام الى فراشها ذلك المساء ، دخلت وداد عليها
الفرقة ، وفي عيناها دمعات ، وفي صدرها اسفاق وخشية ، وحنث
عليها تسألها بلهفة واضطراب :

- امام .. لماذا فعلت ذلك ؟

فتنبهت الام مذعورة ، كأنما كانت في حلم ، ثم رفعت ذراعها
في الهواء تشاء ان تمس وجه ابنتها بصفعة وهي تقول :

- اغربي عن وجهي ، والا ازهدقت روحك ..

وتراجعت وداد مخذولة ، مرتعشة الكيان ، وجرجرت اذيالها
الى غرفتها ، وآوت الى فراشها ، وانها لتتلفت الى الباب جزعة ،

مترقية ان تبدو امها ، بين لحظة وأخرى ، لتجهز عليها ..
بيد ان الام لم تظهر .. لأنها كانت في سريرها ، تستعيد في
ذاكرتها صورته هو .. سعيد .. يضم اليه جسدها هي .. وداد ..
ويقتطف من شفتيها الملتهيتين قبلة عميقة ..
وتستشعر « سامية » ارتعاشات لذة تسري في اعضائها ، فتبعث
بها نشوة متجددة ، ولذة دائمة ..

لقد كانت سامية تحس ان الشهوة التي انامت في اعماقها منذ
سنوات عديدة ، تليقظ شيئاً فشيئاً ، وان الرغبة التي حسبت انها
اماتتها ، تبرز رويداً رويداً ، قوية ، مندفعة تبغي البرء والاشباع .
أحست ان اعضاءها تتفتح للحياة من جديد ، وتتوفر فيها القوة
والجدة والنشاط .. وسرعان ما شعرت بذلك الحرمان نفسه الذي
كان لسنوات خلت يعذبها ويقض عليها المضجع ويرمضها ..
واضحت واثقة من ان هذا الجسد ، جسدها ، مريض ، يفقر إلى
الشفاء ! كانت رغبةً مجنونةً ثائرة لم يكن سبيل الى كبتها او
التعزّي منها بالبكاء والدموع .. كان نهماً اقوى من الضمير الحي !
انها لم يكن يسعها ان تتخيل احداً يضم اليه جسد امرأة
دون ان تشعر بالعذاب يدها هداً ، ويدفعها ابداً الى صرفه بالانتقام ..
وأعمتها شهوتها المتبقظة عن كل عاطفة انسانية أخرى ..
قتلت في نفسها عاطفة الامومة والعطف والحنان .. فلم تكن وداد
تبرز امام عينيها إلا جسداً مغرياً لامرأة يشتهيها الرجل !

*

حين نهضت الام في اليوم التالي ، بحثت عن ابنتها في البيت فلم

تجدها .. وجئت ثأرتها ، فارتدت ثيابها على عجل وانطلقت الى بيت سعيد خطيب وداد .. واستقبلتها والدة سعيد على الباب بكل بشرى وائناس ، بيد انها سارعت الى الغرف تبحث عن فتاتها ، فألفتها بين ذراعي خطيبها تنتحب وتئن ، وهو يضمها الى صدره ويقبلها في جبينها محاولاً ان يؤاسيها .. ووقفت الأم كاللبوء ، يتطاير من عينيها الشرر .. وما لبثت ان صاحت بسعيد :

— دعها .. ايها النذل .. لا تلمسها ، ايها الفاجر !

وتراجع سعيد متخاذلاً ، وحدثته نفسه ان يجابه الام ، بيد انه آثر التريث ، وانه ليستجلي في نظراتها قوة ونفاذاً واستعداءً .. وهم ان يتلفظ بكلمات ، ولكنها كانت اسرع منه ، فاذا هي تنتزع ابنتها من بين ذراعيه ، مرغيةً ، مزبدة ، واذا هي تجرّها من يدها جرّاً بقوة لم تُعهد في النساء ، حتى بلغت بها الباب واستوقفت سيارة ، فدفعتها اليها دفعاً ، واستقلتها الى البيت .. واغلقت الام الابواب ، وانثت الى ابنتها ، وقد تحولت قسمات وجهها الى سمات من القسوة والغيظ ، وراحت تحرق الارتم ، وتقول لابنتها في لهجة ساخرة :

— لن يتوصّل الى جسدك ، ابنتها الفاجرة ، قبل ان يطويني الردى !

فعادت وداد الى الاجهاش .. ثم اذا بها تصمت فجأة ، وترمق أمها بنظرات شرراء وتقول بحساسة وتحدّ :

— بلى سوف يملك جسدي متى شئت وشاء ، فافعلي ما بدا لك ! .. وأهوت الأم على رأس ابنتها بضربة من فرشة التقطنها ،

كانت كافية لأن تكبّ الفتاة على الأرض ، فاقدة الرشد ..
وقامت الخادم العجوز بأسعاف وداد حتى استعادت حواسها ..
وقالت لها بعد لحظات :

— لقد ارسلوا الآن خادمتهم يقول : إن « سعيد » عدل عن
الزواج منك ! ..

وابتسمت وداد ، بل ضحكت ، بل قهقهت ، وراحت تطوف
البيت وهي تهقه .. ثم اذا بها تنزع عنها ثيابها ، وتروح ترقص
وتغني وتفتح نوافذ البيت ، يرتفع صوتها بالغناء والتصفير ..

☆

حين عدت منذ اسبوعين الى داري في المساء ، بادرتني أمي تقول :
— لقد قدّقت المجنونة اليوم بنفسها من الشرفة ، وهي عارية ،
كما كنا نراها بين وقت وآخر ، ففُجّ رأسها وتحطمت ساقيها
وذراعها ، ونقلت الى المستشفى ..

وفي اليوم التالي ، انبثت بان الفتاة قد ماتت متأثرة بجراحها ..
ومنذ يومين فقط ، خرجت الى الشرفة ، فنظرت عفوّاً الى نافذة
تلك الدار ، فرأيت امامها رجلاً لم أره من قبل قط ..



نزل الوهم شاق



خرجت من لدنه 'مسرعة' تحت الخطى ، وان قهقهات رعناء
لتملأ أذنيها ، وان كلماته الاخيرة الثلاث لتتردد 'مصدية' في
مسمعها - « السبت ، الساعة الخامسة » .. بيد انها كانت معنية -
على الرغم من تلك الرعدة التي تسري في كيانها - بان 'تسدل دون ما
حدث ستاراً كثيفاً' .. انها لم تكن خائفة في تلك اللحظات ، ولم تكن
لتشك في ان هذه اللقيا العابرة ، ليس من شأنها ان تمس ما نذرت
له نفسها .. فان ذلك الشعور الممتليء المطمئن الذي بات عقيدتها
الراسخة ، ابعد مدى ، واعمق اثرأ ، من ان تصيبه بسوء سحابة
صيف عابرة .

وبلغت دارها ، وخرجت الى الشرفة ، فجلست تتأمل البحر
الذي عايشها وعاشته ، وحيي حياتها وحييت حياته ، منذ ان قضت
والدتها ، وانها الان لتذكر كلمات امها المتقطعة ، في النزاع الاخير ،
ترسلها على جهد وضئ :

- « ليلي .. إن زينة الفتاة شرفها ، فحافظي على شرفك ، وفي
جمالك من الوقوع في الشراك المنصوبة له .. انظري هذه الموجة
المتسليلة القادمة اليها .. اريدك فاصعة طاهرة مثلها .. »

ولم يتقدّر لأمرها ان تتلفظ بأكثر من ذلك .. بيد ان كلماتها
ظلت حية في نفس ليلي كما لم تحي كلمة ، بل انها كانت تزداد تيقظاً

والتهاباً ، ما تنالت الايام . ووعتها ليلي اشد الوعي ، وتلك الجملة
الاخيرة مكثت تلتهب في ذاكرتها كما تومض جمرة : « هذه الموجة ،
اريدك ناصعة طاهرة مثلها .. »

واطالما كانت ليلي تجلس على الشرفة في كل ساعة من ساعات
يومها ، تنظر الى البحر ، وان في عينها حباً وتقديساً وتهيباً ، وتتابع
الامواج المتسلسلة على بُعد ، تنخفض وتعلو ، حتى اذا دنت ، التأمّت
أجزاءها وتجمعت موجة مزبدة متدفقة ، ناصعة البياض تنتهاى
هادئة ، كأنها في حلم ، عند الصخرة الجبارة التي اقيمت عليها دارهم ..
وظلت ليلي تراقب هذه الموجة التي تثلت بها امها ، حتى أصبحت
بينهما وشيجة متينة من صداقة وود .. وانه ليخيل اليها ان امها
كانت تريد أن تواصل قولها : « اذكرني دائماً هذه الموجة ، واحببها
يا ليلي .. احببها فتكوني مثلها .. »

وعلى ذلك الشعور الساذج ، الذي يملأ فؤاد فتاة في الثامنة
عشرة ، نشأ وعي ليلي بانوثتها ، وترعرع حسها بجمالها .. وكانت
- ما قوي شعورها بهذه الانوثة وذلك الجمال - تجدد عزمها على ان
تظل بريئة وادعة ، تعيش لطهرها وبراعتها ..

وراحت ليلي تقضي ايامها مطمئنة ناعمة البال ، تتمتع بحظ وافر
من السعادة والرضى والنعيم ، وتوثق او اصر مودتها بزهور الحديقة ،
واغاني الطير ، وأمواج البحر .. فتصبح أبدأ الى خيرها الناعم
وتنعم بزرقنها الحالم ، وتراقب هدوءها وسريانها المتمهل . وكانت
تسهر بان البحر يبادلها مودتها وصداقتها ، فتجده دائماً حريصاً على
ان يكون جميل المنظر ، هادئ . الامواج ، حالم النظر ، يرسل

أمواجه الى الشاطيء كأنها تحيات لها .

*

كانت ليلي على الشرفة تستبعث هذه الذكريات ، وتستدعي تلك الصور ، حين أحست نسمة باردة تنفذ الى جسدها ، فإذا هو يرتعش مقروراً .. ووضعت ليلي المعطف على كتفها تلمس الدفء ، ولكنها كانت تشعر بأن جسدها يزداد ارتعاشاً .. وفجأة طفرت الى ذهنها حادثة اليوم .

هي لا تذكر إلا انها الفت نفسها في داره هو ، يوسف .. وجدها تتنزه في الحديقة العامة ، فالتقى عليها السلام ، فإذا هي ترده له .. وحين نظرت اليه ، عراها الاضطراب واحست ان في بصره المحد اليها قوة جاذبة ، وفي بسمته المرتسمة على شفتيه قنّة ساحرة .. وحين كلمها اسرها بحديثه ، فإذا هي تطيب نفسها بمبادلتة الحديث .. وكلمها عن نفسه وعمّاله .. وهي تستمع اليه بمودة وانتباه . ولكنه حين رغب ان يتحدث عن نفسها ، لاذت بالصمت ، كأنما كانت تخشى أن تطلعه على حياتها وعقيدتها .. وابتم ازاء صحتها ، وغادرا الحديقة العامة ، واذا ذاك رجاءاً بان تستقل معه سيارته الفخمة الى داره ، لتناول فنجان من الشاي في هذا الجو الربيعي الرطب .. وشاءت ان ترفض ، أو تعتذر ، ولكنه فتح باب السيارة ، ودفعها الى داخلها برفق وهو يضحك .. وفي داره الفخمة ، اعدّ لها ، هو نفسه ، الشاي ، وتحدثا طويلاً بأشياء عادية بل تافهة أحياناً .. ثم عاد يرجوها بقوله :

« حدثيني من انت ايتها .. الجنية الحسناء . »

فبدأ عليها سهوم وشروود وكادت تستغرق في ذكرياتها ، لولا
انه ضحك واقترب منها يقول :

« ليس يهمني ان تحدثني عنك .. فانا اراك بملء عيني .. »
ثم مدّ ذراعه يحوط عنقها .. وشاءت ان تتخلص منه ، ولكنه
جذبها اليه بشدة ، وقبلها في شفتيها .. فاذا هي تنهض مرتعشة ، تود
الخروج ، واذا هو يسارع الى الاعتذار راجيا ان تصفح عنه .. وبعد
لحظات صمت سألها :

« هل اوحيت لك كرها يا آنسة ؟ .. »

فلم تجب .. وعاد يتحدثها ، ولكنها بدت اكثر شروداً وأشد
سهوماً .. واخيراً تركها تخرج . ولكنها حين همت ان تهبط السلم ،
نظر اليها نظرة بعيدة القرار ، ثم ضغط على ذراعها ، وقال بلهجة
واثقة من نفسها :

« ليلى انا بانتظارك يوم السبت ، الساعة الخامسة .. »
فاجابت وهي تجهد في التخلص منه ، وإن على وجهها لضيقاً وقملاً :
« لا .. لا .. دعني .. ولا تنتظر ان آتي ، فاني لن اراك

بعد اليوم .. »

فلم يجد إلا ان يضحك ، فاذا هي تلتفت اليه بتضرع ، وتتمتم
بخفوت مضطربة راعشة :

« إنس الذي مضى ، ومع انه كان تافهاً ، فسأستغفر ، وسأظل
كما كنت وكما أود أن ابقى ... »

*

كم كان ذلك سريعاً ! ان ليلى تكاد لا تصدق ان ذلك كله قد

حدث منذ حين ، وانها هي ، كانت فيه أحد الطرفين .. وضمت
ليلي اطراف المعطف على كنفها ، تنقي البرد الذي اشتد ، وانحت
نظرها الى البحر ، فاذا هي ترتجف ، واذا غصة تحرق حلقها ، واذا
بها تجبس انفاسها لحظات .

لم يكن البحر ، كما تعودت ان تراه هادئاً ساكناً ، ازرق
اللون ، هامس الصوت .. بل كان مصطخب الامواج ، كالخاء ،
يرسل صوتاً غريباً تسمعه لأول مرة .. ويرعشها لأول مرة .. كان
نداء خافتاً ترسله الاعماق ..

وحدقت ليلي ، فاذا هي ترى موجة كبيرة ، صاخبة
متلاطمة الامواج ، تتكسر على الصخرة الجبارة ، بصوت
ثاقب ، وتحمل في ثناياها أوشاباً وطفيليات وحشائش ..
حشائش كثيرة مسودة اللون !..

ودخلت غرفتها مهتزة الجسد ، وآوت الى فراشها ، مذعورة ..
جزعة ، وهوّم الكرى على جفניה ، وهي تراه ، هو يوسف ، يحوط
عنقها بذراع حديدية جبارة ، ويطبع على شفتيها شفتين تلتهبان
ناراً ورغبة وحنيناً ..

*

.. وعلى الرغم من انها ضلت الطريق ، وان الساعة قد
اشرفت على الخامسة ، فانها لم تكن تحس اي اضطراب .. كانت
على غاية من الهدوء ، وكانت تسأل المارة بكل سكينه عن داره ،
فتجيب بعلامة استفهام ترسم على الشفتين .. ومع ذلك ، لم تكن
لتتردد .. كانت تسير بخطوة متزنة : انها ستبلغ الدار ، مهما بعدت ،

وسينظرها ، هو ، مهما تأخرت . وكان في عينها استسلام افضى
اليه بأس مرير ، ومرارة يائسة .

واهتدت اخيراً الى الدار في الساعة الخامسة والنصف ، ورقبت
السلم بخطوة ثابتة ، وحين لقيها يوسف ارتمت على صدره .. وبينما
كان يحاول ان يقتطف قبلة من عنقها الشهيّ البض ، وسعها ان
تحدّر دمعة لم يرها ، ولم تشأ هي ان يراها .. وحين استقر بهما المقام ،
نظر اليها وفي عينيه بريق النصر ، وعلى شفتيه بسمة متكبرة ..
واذا هي تغضي وتصرف نظرها عنه ..

كانت على أقوى اليقين ، بان عينها تتضرعان أن بصمت ، وأن
يسكت ، وألا يسألها عن شيء لن تطيق ان تجيب عليه .. وسمعه
يضحك ، فانفجرت اساريها .. ولكنه قال :

- لم تبرّي بوعدك يا ليلي .. فاني أراك قد اتيت .

فاذا طفرة من الدم تصبغ وجنتيها ، واذا هي تحس صدرها
يخفق خفقاً شديداً حتى لنتهشم ضلوعها ؛ وشعرت انها تريد ان
تثور ، وتحنق وتصرخ ، وتشتهمه .. ولكنه كان قد اقترب منها
ووسد رأسها ذراعه ..

وعادت الى دارها في الساعة التاسعة ، محطمة ..
ومكثت امام باب الشرفة زمناً طويلاً ، لا تنبس ولا تتحرك ،
ثم فتحت بهدوء وخرجت تتأمل البحر ..

كان كما أرادت ، وكما خشيت ، ان يكون ..
وعلى الرغم من ان الليل كان قد هبط كثيفاً ، فانها كانت ترى
كل شيء واضحاً جلياً .. كان البحر على غاية هياجه ، تعلو امواجه

جبالاً شماء ، وتنخفض اودية سحيقة . وكان لونه كالحلأ أشد السكاحة ،
كأنما صبغ بلون جديد باهت .. وكان صوته رعداً كزعد السحاب
الكثيف ، وزجرة كزجاجة العاصفة الهوجاء ! انه نداء الاعماق ..
كانت ليلى ترى في هياجه دعوة حارة ، وتقرأ حينئذ شديداً في
كلحته ، وتسمع في صوته نداء صارخاً ..

وفجأة ، طفرت الى ذهنها صورته هو ، يوسف ، وصورتها
هي ، في غرفته ... فجأة عاودتها ذكريات ايامها السالفة ، وصورها
الماضية ؛ ونظرت ليلى فاذا هي ترى الموجة تقبل عليها صاحبة
متلاطمة ، قوية جارفة ، تهدر هديرأ عجبياً وتصل الى الصخرة
الجبارة التي اقيمت عليها دارهم ، فتتكسر بجنون على الشاطئ ،
واذا رشاشها يرتفع حتى ليلاص اقدامها ..

وعادت الموجة بعد لحظة ، أشد هياجاً ، وارتفع صوتا وابت
لونا ..

واحست ليلى ان سمعها قد صم ، حتى لم تعد تسمع شيئاً ، بل
أرهف حتى لتسمع كل نامة حولها ، وشعرت بان عينيها قد غشيتا
حتى لا تريا شيئاً ، بل ازدادت حدة ونفاذاً حتى لتريان ادق الاشياء .
وفجأة عراها الاضطراب ، فالتاث احاسيسها ، واختلطت
مشاعرها ، وتناثرت ذكرياتها ، وتمازجت بامواج البحر ..

إن هذا البحر المجنون ، لن يهدأ حتى تستجاب دعوته ، دعوة
الموجة الجريح ، ولن يستقر حتى يلبى نداؤه ، نداء الاعماق
السحيقة ..





Handwritten text in red ink, possibly a signature or a small note, located near the bottom left of the central illustration.

رأينا طيفها يتخايل من بعيد ، تسلك الطريق الذي نسلك
باتجاه معاكس ، وإن في مشيتها لغنجة عذبة ، تنطق بالسحر
والدلال ، وإن جسدها ليتايل على هون ، فتتجسم تقاطيعه سحراً
واغراء .. وانظر الى « حسني » ، لا بادله كلمة يتبادلها الشبان في
مثل هذه المواقف ، فيها الكثير من الاعجاب .. ولكني المحم
يبرق عينيه في ذلك الطيف يدنو ، حتى اذا تبينته على جلاء ، رأته
يمد يده الى ذراعي ، ويمتدني بعصية ظاهرة ، فيحولني عن
السمت الذي كان سيجمعنا بها بعد لحظات ..

ويبحث « حسني » خطوه ، فيلجئي الى تقليده ، حتى بلغنا
المنعطف الاول ، فاذا هو يُنجي اليها بصره ، ويتأملها ، وعلى
وجهه مسحة من ضيق الى ان تغرب ..

وبعد لحظات ، كنت أصبح اليه يحدّثني ، دون ان أعرب عن
رغبتني في ذلك ، فيقول :

« ذات أمسية من اماسي آب ، أقبل إلي صديقي « نعيم » ،
يقترح ان نقضي ليلتنا هذه في مصيف « عاليه » القرية اللبنانية
الفخمة . وحدّق نعيم في عيني يستجلي منها اغوار نفس مشوق ،
تحنّ منذ أشهر ، الى تلك الدنيا الزاخرة بالعاطفة والشعور : دنيا
المرأة .. ولم يكن بوسعي ان أخفي ما بي ، فانا منذ نلت شهادة

« البكالوريا » تخالجي ، على رعشة واضطراب ، مشاعر مواراة من
رغبة وحنين .. كنت أتمرق شوقاً الى معرفة المرأة .. وكانت
عاطفتي تلك علي التفكير ، وتخلق في نفسي الواناً من ضنى الحرمان ..
وتلك العاطفة المتحرقة التي ظلت مكنونة رديحاً غير يسير ، وجدت
في فوزي بالشهادة ، طفرة وانطلاقاً ، فبدت سياؤها تطل من
عيني حنيناً مضطرباً ، يفتن اليها كل من اوتي بصراً .
كنت اريد ان اعرف المرأة ، تلك المرأة التي تصفيك الود ،
وتحضك الاخلاص ، وتستجيب لشعورك البريء الفياض ، بشعور
مثله ، او يفوقه براءة وفيضاً . كنت أشتهي ان اتعرف الى فتاة
جميلة ، فارهة الحسن ، في عينها منبع الطهر ، وطبي جانحتها
مستودع الحب ، وملء وجودها معين الاخلاص .. تلك كانت
الصورة التي تركزت في ذهني للمرأة : النعيم الذي ينقص الرجل ،
والحرارة التي يفتقر اليها في حياة كل رجل الامل ، والرجاء والغاية
البعيدة المبتغاة ..

ولكن شيئاً كان يقفني دون هذه المرأة ، وهو الذي كان
يدعوني الى الاحجام حين تيسر لي الاقدام ! ذلك هو الخشية ، بل
الخوف من المرأة ! كنت أتصورها تياراً ثاراً عاصفاً لن يملك
الاستمساك والمقاومة فيه ، الا الرجل القوي الذي مَهَر بالسباحة
منذ أمد بعيد ! بيد ان هذا الخوف نفسه ، لم يكن ، ما تقاوم
واشد ، إلا ليزيد الرغبة تأثراً ، والحنين تهاباً ، كان الخوف
يدفعني الى التقرب من المرأة ، حين كان يحاول ان يبعدني عنها !!
كانت المرأة خطراً ولكنه الخطر الذي يغري !

وكان يلدّ لي أحياناً ، أن أتخيّلني ماثلاً امام المرأة ، فكنت ارقن في كل لحظة ، انني لن اكون إلا ضعيفاً ازاءها ، ضعيفاً الى ابعد حدود الضعف .. لن اجرؤ على ان اوجه اليها كلمة ، ولن أطيق ان انظر اليها نظرة ، خالية كانت من المعنى ام لم تكن ، ولن يكون بمكنتي ان المس يدها ، بلّة جسدها ! فالحق ان شيئاً آخر كان يرفد الخوف : ذلك هو خجل عميق تُسج في قلبي بخيط من الطهر ، بل من التقوى الموروثة .. اجل ! كنت أستهي ان أعرف المرأة ، ولكن المرأة الحبيبة ، المحلصة الطاهرة ، تقاسمني العيش في دنيا هائلة بالاحلام الرفافة والاماني الغضرة !

قلت لنعم على الفور :

- عاليه ؟ نقضي ليلتنا في احد فنادقها ؟ انها لفكرة ! وعلى الرغم من انها كانت فكرة جريئة ، فقد اطمانت اليها ، وحلمت في أن أجد هناك ، في عاليه ، ما كنت اصبو اليه .. اليس من الممكن ان تجمعني الصدقة بها ، تلك التي تملأ فكري ؟ وبلغنا عاليه عند الأصيل ، وجلسنا نلعم النظر في وفود الراحين والغادين : جماعات من الشبان ، وأسراب من الفتيات ، او زرافات من الجنسين ، تملأ الجو جمالا وحبوراً وضحكات .. وشعرت بغصة تحرق قلبي : ماذا ؟ أظن هكذا محروماً من عاطفة رقيقة ، تبادلني اياها احدي الفتيات الوادعات ؟

كنت احسُ فيضاً من الأسى يخيم على تفكيري ، وكابوساً من الغم والضيق يحتم على صدري ، حتى وجددتني انتبع بنظري كلّ طيف امرأة يلم بنا .. ورأيت عن بُعد فتاتين تقتربان من مجلسنا

في المقهى المشرف على الطريق .. ولست ادري لماذا شعرت ان
نفحة من اطمئنان واشراق تتسرب الى اعضاءي ، ما ازدادت
الفتاتان قرباً منا ..

وأصبحتا على قاب قوسين ، وبدت احدهما على غاية الجمال
وفي ذروة الروعة ، وإذ حادثنا ، قرأت في عينيها إشعاع الفتنة
والطهر والبراءة . ولقد رأيتُ - اذ التقتُ فقطتُ الى اننا
ننهبها بانظارنا - دُفعتين من الدم تطفران على خديها ، فتصبغها
بمجرة قانية تنطق بالحياء والحجل والاحتشام .. وتابعت الفتاتان
سيرهما ، وانا معلق النظر بهما ، وحين شارفنا المنعطف ، انحنتُ
الفتاة الجميلة اليّ نظرة ناعمة ، نفذت مني الى الصميم .. ولكن
سرعان ما احسست بالخوف ، خوف شديد يُرعشني .. ومع ذلك ،
فقد رأيتني أتملأ على مقعدي ، واذا بي أشعر بقوة خفية ، تدفعني
الى النهوض ، وقد استشعرت حافزاً عجيباً يدعوني الى اتباعها ،
ومخاطبتها بآية كلمة تفصح لها عن بالغ اعجابي بها ..

واذن ، فقد نهضت ، وهممت ان أخطو ، فاذا بي اسمع نعيم
ينهض ضاحكاً ويقول بصوت مرتفع :

— اهلاً وسهلاً ، آنسة نوال !

ونظرت : امرأة بمشوقة القوام ، رهيفة القد ، تسير على تن
وغنج ، منسجمة التقاطيع ، جذابة القسمات ، تدنو منا وعلى شفقتها
طيف ابتسامة متكبرة ، ولكنها مغرية .. بسمة بلغت من الاغراء
مبلغاً سمرني في مكاني لا احيد عنه .. بل اذا بي اتقدم ، انا نفسي ،
فانحني امامها ، وادني لها الكرسي ، بكل احترام وإكبار :

— أقدم لك الآنسة نوال ، الراقصة المبدعة !

— أقدم لك صديقي حسني !

*

كنت احسنني — احساساً عميقاً — كالغريب في جوّ هذا
المقهى الصاخب ، وكان ضيق مختلف شدة ومدى يراودني بين آن
وآن : لم يكن بودي ان ادلف الى هذا المقهى ، لولا ان جذبني
نعيم اليه جذباً ، ولولا انه وعدّ « الراقصة نوال » ان يشهد حفلتها
وان يصحبني اليها . وبينما كنت جالساً اترقب ، على قمل وانقباض
ان ترفع الستارة استعدت تلك اللحظات التي قضيتها على مقربة
منها ، هي ، نوال !

كانت تضحك لكل كلمة يلفظها نعيم ، وكانت توجه إليّ بين
الحين والحين نظرات عميقة ذات مغزى ، وتساألني والبسمة
تكسو ثغرها .. ولست أذكر إلاّ انني كنت في ذلك الحين ، بارد
الشعور ، أكاد لا اثار بشيء ، معطل التفكير ، لا تقرّ في ذهني
آية صورة او معنى .. وانا الآن فقط أذكر انني نسيت تلك الفتاة
الجميلة ، التي هممت ان اتبعها ، حين قدّم إليّ نعيم الراقصة .. ثم
تبودلت كلمات ، ليس من شأنها ان تعني شيئاً ، او خيّل إليّ
ذلك ، ثم دعت الراقصة « نعيم » الى مشاهدة حفلتها في المساء ،
فقبل بسرور بالغ ، واذ نهضت ، وضعت يداً حارّة على كتفي ،
وقالت لنعيم :

— ولا تنس ان تصحب معك حسني ، صديقك هذا الخجول !
فانفجر نعيم ضاحكاً ، وابتسمت على مضض ، ورحنا نتبعها

النظر تسير بثنٍّ وغنج !

ولم تمض لحظات ، حتى كنت أعرب لنعيم ، عن ضيقي ، وعن ذلك الانقباض ينشب أطافره في صدري . ورغبت اليه ان نعدل عن قضاء ليلتنا بعاليه ، ونقفل الى المدينة ، فاتهمني بالجنون ، وهزيء بي ، وحاول اقناعي بالبقاء ، مصوراً لي الليلة التي سنقضها في المقهى على اروع لوحةٍ من الرقص الفنيّ الباعث على الاعجاب ، والموسيقى التي تستنشي الحواس .. وصحبته الى فندق حيث استأجرنا غرفة للنوم نعود اليها بعد قضاء السهرة في المقهى القريب . وهأنذا الآن هنا ، في المقهى ، اجيل الطرف حولي ، فاشاهد كثيراً من الرجال ، وكثيراً من النساء ، وارى كؤوس الخمر على المناضد تتصاعد إليّ روائحها ، واسمع أحاديث الناس ، بين تافهٍ ومرذولٍ وصراخ ، واصوات العرايب تتناهى الى اذني كأكره ما تكون اصوات ! .. وما البت ان ارى نعيم قادماً يحمل بين يديه زجاجة خمر ، ويدعوني الى معاقبتها معه ! ما كان ابعده عما يمور في صدري من شعور ! .. وما كان اجدرني ألا اصحبه الى هذه المكان الموبوء !

ورفعت الستارة ، وبرزت الراقصة ، فاستقبلت بعاصفة من التصفيق والاستحسان ، وراحت تنثر بسماحتها وتلقى الكلام المعسول ، ثم طفقت تدور مختالة مزهوة على انغام الموسيقى ، وتبسط ذراعيها في الفضاء ، تلويها خفصاً وعلواً ، تحت ذلك المنديل الحريري الأخضر .. ولا تلبث طويلاً حتى تدع المنديل يسقط ، فيظهر ذراعاها وعنقها عارية ، وترتفع الاصوات بآيات الاعجاب ..

ثم تنزع ثوباً كان يستر وسطها ، فتبرز ساقاها عاريتين ، تتلويان
 كالحية .. وانظر بانتفاض الى الجمهور حولي .. كانوا ينهبونها
 بانظارهم المتشوّقة المتحرّقة .. وكانت النساء يبسمن لها ، ويضحكن
 لجسدها العاري ! تالله ، كم من امرأة تودّ لو تعرّى مثلها !!! ..
 وراحت الراقصة نوال تهزّ وسطها ، فيهنّز نهداها في صدرتها
 الحريّة ذات اليمين وذات اليسار ، ثم تدبر ، وتعرض ظهرها
 وساقها ، والاصوات تزداد في ما حولها ارتفاعاً !
 ثم تسرع الموسيقى في انغماسها وتصخب ، فتسرع الراقصة في
 تلنيها ، وتهزّ كل عضو من اعضائها ، وهي مفترة الثغر .. ويزداد
 صخب الموسيقى .. واذا الراقصة كتلة من هياج والتهاب وحركات
 مؤارة .

وأخفض رأسي وأطرق ... وقد احسست باني سأنفجر
 غمماً وضيقاً .. وفيما أنا في غمّتي تلك ، مزّقت مسمعي عاصفة
 من الصياح والضحك والتصفير الثاقب .. وانجيت بصري ، فوقع
 على المسرح .. فاذا انا ارى صدر الراقصة عارياً .. كانت الصدارة
 التي تحفظ نهداها قد انملست عنها ، فتهدّلا باسترخاء .. وكانت هي
 تحاول على مهل ، ان تعيدهما الى الصدارة وهي لا تني تبسم ..
 والموسيقى تزداد صخباً ! ..

*

كنت في الطريق ارتعش ارتعاشاً ، وقد قفّ شعري ،
 وتوترت أعصابي ، وانخذلت ركبتي ، فاحسستني موشكاً على
 السقوط !

لم يكن بدور في خلدي ان تشوّه الصورة التي تَقَرُّ في ذهني
للمرأة هذا التشويه البالغ، ولم اكن اتصور ان تتالى تلك الفجوات
فيها ، بهذه السرعة العظيمة، ولم يكن في طوحي ان اتحيل استمزازاً
وازوراراً وكرهاً كهذا الذي احسّ به الآن تجاه المرأة .. لقد
طعن الطهر في الضمير ، ولقد تبددت امنياتي البعيدة هباءً ، وذهبت
احلامي شعاعاً ، فاذا افا غارق في أعماق وادٍ من أودية اليأس والألم ..
وليس في وسعي ان اخفي انني أحسست بتبكيت في الضمير ، لم
يلبث طويلاً حتى حال الى ندم عميق .. ندمت ان استبيح لنفسي
هذا الانطلاق الذي يكاد يودي بي ، وذلك التحرر الذي ابتغيه دون
ان اقدّر عاقبته ..

وعدت الى الفندق ، وجلست على شرفته في ظلام الليل ،
وتتالت صور المقهى على عيني ، وعادت المناظر تتوى : رجال ..
نساء .. خمر .. صراخ .. تجديف .. رقص .. عري .. نهود ..
لا استطيع ، ولا ادري .. كانت رأسي بين يدي ثقيلاً بهذه الرؤى
يكاد ان ينفجر .. كنت اشعر انني لن احتمل بعد ، ولن اطيق
ان انظر الى امرأة .. بلى .. بلى ، ولكن الى تلك الفتاة الوادعة
الجميلة الهادئة ، التي لن تعرف يوماً غير الطهر والبراءة !

لبثت على الشرفة وقتاً طويلاً ، لا اعرف ان اقدره بالدقائق
والساعات .. كنت وحيداً ، وكنت احاول جاهداً ان استعيد
في ذهني تلك اللوحة البريئة التي رسمتها خيالي لذلك السكّان الذي
احنّ اليه .. وكان شعور الاطمئنان يعاودني ، ما تجلّت لي
خطوط تلك اللوحة ، حتى رجع إليّ امني وهدوئي وطمأنينتي ،

ووثقت من ان الذي حدث لم يكن الا عرضاً زائلاً ، وغمامة
صيف ما لبثت ان انقشعت ..

وقدّرت انني في موهن الليل ، وأن الساعة قد تجاوزت الثانية
عشرة ، فنهضت الى الغرفة ، وقد عقدت النية على ان انام ليلتي
بهدوء ، حتى اذا أصبحتُ باكراً ، استقلت السيارة الى المدينة
وحدي دون انتظار نعيم .. كنت اريد ان انتقم منه !

وبينما كنت أفتح باب الغرفة لآوي الى الفراش ، سمعت صوت
قدم يون .. والتفت ، فرأيتها تقترب ، ولحت بسمتها على ضوء
الدار ، وسمعتها تقول بصوت ناعم :

— أهذه هي غرفتك يا .. حسني ! إن غرفتي الى جانبها .. يا لها
صدفة غريبة ، ولكن اليس هي صدفة جميلة أيضاً ؟ .. وعلى
فكرة ، حدثني .. انك لم تقل لي كيف وجدت رقصي ؟ هل
اعجبك ؟ تعال .. تعال حدثني !

قالتها كلها جملة واحدة ، تنثال الكلمات انبثالاً ، لا تنتظرنني
ان أجيب على اية منها .. ووضعت يدها على عاتقي ، ثم دخلت
غرفتي وهي تجذبنني من يدي .. وما لبثت ان استلقت على السرير
وشبكت ذراعها تحت رأسها ، ثم تنهدت تنهدة طويلة ، وقالت
بصوت خفيض :

— لقد تعبت اليوم كثيراً .. وانا بحاجة الى راحة طويلة ..
نعم ، يا سيد حسني .. لم تقل لي كيف وجدت رقصي ؟ أدنُ مني ..
مالك ؟ أخاف أنت ؟ انني لا أخيف .. تعال .. تعال اجلس هنا
بقرني !

ظلمت مسروراً في مكاني لا اريم ، وشعرت بموجات من الغيظ ،
تتدافع الى صدري ، وأحسست ان جيني يتقلص ، وحاجي
يقطببان ، وانني قد اوتيت من الشجاعة حظاً لم اكن أحلم به ..
نعم .. لأول مرة شعرت بانني لست خائفاً امام هذه المرأة ، وان
بوسعي ان اقاومها بكل يسر .. ونظرت اليها أقول بلهجة
هادئة :

- ايتها الآنسة .. لست من الذين تظنين .. ارجوك ان تخرجي
من غرفتي في الحال ..

اطلقتها ضحكة رنانة ، ثم اذا بها تنهض ، وتجذبني من ذراعي
وهي تقول :

- اراك لم تعد خجولاً يا حسني .. برافو .. هذا ما اريده !
وشعرت ان الغضب قد بلغ مني كنفه ، حتى كان يهزني هزاً ..
وحاولت ان اخلص يدي من يدها ، فلم استطع لأنها كانت ترداد
في ضغطها اياها .. واذا ذاك اتجه لي عزمٌ سرعان ما نفذته ، فاذا
انا اهوي على ذراعها ، أعضاها باسناني عضاً شديداً .. فاذا بها
تصرخ صرخة داوية ، الجأنتي الى تركها ، وانا اوجس منها خيفة ،
واخشى الفضيحة ..

ونظرت اليها مرتعشاً ، فاذا هي مفرقة في الضحك .. اجل ..
كانت تضحك ، وكانت الغرفة تصدي بضحكاتها ... ثم اذا
بها تقول :

- لقد اوجعتني يا .. حسني .. حسبك لا تزال مبتدئاً .. انت
حقاً قوي !

وشعرت بلذّة تقطر من اسناني

*

ونظرت الى « حسني » وانا ابتسم .. واستطلع هو في نظراتي
ما يجول بفكري فبادر يقول بحماس :

- لا غرابة .. قل لي .. أتى لمن يدفع هكذا من كتفيه دفعا ،
ويساق الى الجحيم سوفاً ، حتى يرى نارها المتأججة الحمراء ، ويسمع
فحيحها الداوي .. أنى لمثل هذا ان يُعْمى عينيه ، ويُصمّ أذنيه ؟
ثم خفت صوت حسني ، وقال بلهجة ساهمة ، بعيدة القرار :

- « نعم .. هي التي اضلّتي .. ولكنّ هذه المرأة .. لا احبها
ولن احبّها ، لانها لا تخيفني .. اما تلك التي اخافتني ، والتي اشعر
برعشة كلما ألمّ طيفها بخاطري ، فهي التي احبّها من اعماقي ، وهي
التي لن اقوى على نزع لوحها البريئة من فكري ! .. »





كنت انا وحدي المخطوبة بين هاته الفتيات النضرات .. وكن
سبع عشرة طالبة ، تتراوح اعمارهن بين السادسة عشرة ، والتاسعة
عشرة : زهرات عبقات بدأ الشذى يعطرّ منهن الاجواء ، وطفقت
الانوثة الحاملة تنفتح في اجسامهن براعم غضة لشباب يستحير ،
وتتليقظ في افئدتهم امانى ناعمة لسعادة ترتجى ..

وما كن ليدر كن هذه الاماني وتلك الانوثة إلا شعوراً
مضطرباً حائراً ، يسري في الجسم رعشات خفية لذة ، ويتنفس في
الأعماق تأوهات وتنهدات .. أتكون هذه غير خطوط عاجلة
لرسوم فتيات بدان يتحسن الحياة ؟ !

اما أنا ، فكانت آمالى وصبواقي قد انتظم عقدها ، وسلكت
سبيلها الى غاية واضحة ، تجمعت في خطيبي « منير » الذي الفيت فيه
الخطيب والحبيب المثالي .. فما كان لي ان احلم - اذا حلمت -
إلا به ، وما كانت الصورة التي تملأ قلبي وفكري إلا صورته ..
وكان منتهى رجائي ان تحت هذه السنة المدرسية خطاها نحو نهايتها ،
لأنال شهادتي المنتظرة ، فأزف الى منير ، ونعيش معاً في دفء
الحياة الزوجية ، كما يعيش عصفوران هانئان في دفء عشهما اللذيذ ..
وعلى الرغم من ان سعادي المرجوة كانت زعيمة بان تشغلني
عن كل شيء ، ونحبي في فؤادي حس الأثرة ، وتضرم شعور

الانانية ، فانه لم يكن في طريقي ان اتجاهل هذه الحياة المرهفة
الريقة التي تضرم حولي ، ولم اكن استطيع ان احو هذه المظاهر
التي كانت تبدى لعيني ، تتضح يوماً إثر يوم .. اعني مظاهر الاهتمام
لدى زميلاتي الطالبات بذلك الشاب الناضج الذي كن يريته
ويسمعن صوته مرة على الأقل كل يوم ، ذلك هو مدرس الادب
العربي .

ومازلت اتمثل في نفسي واذكر الدرس الاول الذي القاه علينا الاستاذ
« ناجي » . إن واحدة منا لم تكن لتجرو على ان تنبس بكلمة ،
حين فرغ من القائه ، ثم جمع أوراقه وخرج ، ما تزال انظارنا
معلقة به . وما لبثت الأعين ان تلاقت ، فاذا هي تغضي ، خشية
ان تحونها النظرات في معانيها ! وكانت طبيعياً ، وقد اغضت
الابصار ، ألا تفقر شفتان عن كلمة ، أو تنغما بحرف . والحق ان
الفتاة التي اعجبت بدرسه وتعليمه - وكلنا معجبات - كانت تخاف
ان يتهمها أترابها ، اذا هي عبرت عن رأيها ، بالميل والاعجاب
العاطفي ، فتؤثر الصمت ، دفعاً لهذه التهمة تستهدف لها .

وكان الاستاذ « ناجي » شاباً ملء بوردية الصبا الغضر ، وطبي
جانحته الحمية والنشاط . وكان فارغ القامة ، ريان الوجه ، اشقر
الشعر ، ترف على نحيه ظلال الرضى والاطمئنان والفخر . وليس
بوسعي ان انكر أن له صوتاً جميلاً هادئاً فيه غنة ارستوقراطية
ناعمة ، كثيراً ما حركت في قلوب زميلاتي اوتار الاعجاب ، كما
كنت ألهس ذلك من نظراتهن الفاترة الرانية اليه .. وكان خلافاً
لمدرسي الرياضيات والتاريخ ، لا يستطيع ان يظل جالساً أمام

منبره ، فهو لا يني يذرع غرفة الدرس جيئة وذهاباً ، فيكسب
الجو حركة ويقظة ، ويشير تنبيه الطالبات حتى كنهه .. فلم يكن
من عجب ان تلاحظ الابصار تتابعه في الجيئة والذهاب ، وتساير
جسمه في حركاته وسكناته جميعاً ! وليس من ريب في ان درس
الادب العربي ، كان لذيذاً بحد ذاته ، لأنه لا يستلزم جهداً فكرياً
شديداً ، ولأن موسيقى الشعر الذي كان يقرأه علينا الاستاذ
ناجي ، لشعراء قدامى ومحدثين ، كثيراً ما كانت تطربنا وتبعث
فينا نشوة الحس ، يدغدغه الانسجام والتساوق .

وانقضى اسبوع ، تزايد في خلاله اعجابنا بمقدرة مدرسنا الجديد ،
فاذا بنا نستسيغ الأدب العربي ونندوِّقه ، ونجتهد في مطالعته
وتلقينه ، لا سيما وانه مادة اساسية في مواد الامتحان النهائي .

وما لبثت طويلاً ، حتى بدأت ادرك ان زميلاتي أخذن يشعرن
بشيء غير التقدير والاحترام للاستاذ ناجي . وكانت دلائل هذا
الشعور تظهر في اشكال شتى ، واضحة تارة ومستترة أخرى .
فأما صديقتي « نجاح » التي هي اوفر الطالبات جمالا وعدوبة ، فقد
كانت تتأثق في ملابسها وتجلو محاسنها في كثير من التفنن والتزين ،
حتى لتصبح جدية بان تجذب اليها انظار اشد الناس زهداً بالمرأة ..
واما « عفاف » التي تنعم بحظ غير ضئيل من خفة الروح وانسجام
القامة وروعة السمرة ، فقد كانت تظهر من الحرص والعناية
والاهتمام بكتابة الفروض النظيفة المرتبة ، اضعاف ما تظهره اية
طالبة .. واماً نادية ، فكنت كثيراً ما اراها تتعلم من وجه الاستاذ
ناجي ، وتوقب حركاته ، وتتابع نظراته .. وتساألني عن « سامية »

اصغر الطالبات سناً؟ إنها تظهر في المدة الأخيرة بظهور الصوت «
ويندر ان تتكلم .. اف يكون سهمٌ من سهامه قد اصاب فؤادها؟
إلا « عابدة » فهي تبدو في دنيا غير هذه الدنيا ! ولعلّ التفسير
المعقول لذلك ، انها ليست على جمال تتمناه اية فتاة من بنات حواء!
وانا ، انا المخطوبة ، كان يلذ لي ان اراقب زميلاتي من برجى
العاجي الذي لا تدر كه إلا مؤثرات خطيبي « منير » ، فاخفي بسمه
تودّ دوماً ان ترسم على شفتي .. غير انني كنت اتساءل بلهجة
اقتناع واقرار: « اليس ذلك الطيف هو الذي يراد بخيلة كل فتاة
في مثل هذه السن ؟ .. وانا ، لو لم اكن مخطوبة ؟ .. »

ومع ذلك ، فقد كانت الرغبة تحدوني دائماً الى ان استغلّ موقعي ،
فأحاول ان أفكّ عقال هذه اللسنة التي لجمتها الحشية .. وقد وجدت
هذه الفرصة ذات يوم في بسمه تبادلتها « نجاح » مع الاستاذ ناجي ،
وكنت اظن اني الوحيدة التي لاحظتها .. فما ان انتهى الدرس ،
حتى بادرت صديقتي نجاح على مسمع من جميع الرفيقات بقولي :
— هنيئاً لك يا نجاح !.. لقد منحك « الأمير » أخيراً احدى
هداياہ ..!

فقطنت نجاح الى قصدي ، واكتفت بضحكة مرّة ..
بيد ان « ناهد » ما لبثت ان اجابت بنجبت :
— تقصدين البسمه ؟ لا يا حبيبتى ، إنّ هذه الهدية كانت
« عفاف » ..

وفهمت انّ بودّ ناهد ان تقول « ان هذه الهدية كانت لي
ولكنها آثرت هذه المداورة !.. ذلك انها لم تمترض او تحتج ،

حين سارعت عفاف الى القول :

- بل هي لك ، كما لاحظت !

وتركتهن في ما هنّ فيه ، وخرجت من غرفة الدرس ، وإن نادية لهنّ بالكلام .. عجباً لقلوبهنّ الصغيرة !! أتكون بسمة واحدة ، أرجح انها لم تكن تحوي اي معنى مقصود ، موضع نزاع مستحکم كهذا النزاع ؟

بيد انني لم أستطع ان اقنع نفسي بان الاستاذ ناجي بريء من كل شيء .. فلا ريب عندي في ان هذا الجمال المنشور البكر ، قد انتهى أخيراً بان يؤثّر فيه . وهذا هو التعليل الوحيد للبهجة والجور والجلد التي يبديها في هذه الايام الاخيرة .. فهو يشيع في غرفة الدرس جواً من الغبطة والمرح ، وإن كان لا يقصّر في اداء الدرس على وجهه الأكمل .. والحق ان درس الادب العربي قد اصبح آثر الدروس وأحبّها لدى زميلاتي ، وهنّ يترقبنه ترقباً .. او قل يترقبن مدرّسه !

وأياً ما كان ، فقد القى الاستاذ ناجي عن كتفيه تلك الرصانة والاحتراس اللذين ابداهما عند مجيئه ، فاذا هو يتحدث حديثاً طلقاً في كل أمر يعرض له خارج حدود الدرس ، فهو يتكلم عن الادباء الفرنسيين الذين يحبهم كروسو ولامارتين ودي موسيه ، وعن الروايات التي اعجب بها حين كان لا يزال على مقاعد الدرس ، منذ سنوات . وقد كان هذا التنويع والاستطراد يقعا من نفوس اتراي موقعاً رضيعاً ، لأنهنّ كنّ يجدن بهما متعة وتسلية .. ولكن حديث الاستاذ كان يتطرق احياناً الى غير الأدب ، فيتناول

القضايا الاجتماعية العامة بالبحث والتحليل .. غير ان الموضوع الذي
أثار تنبّه الرفيقات ، وحرك مشاعرهنّ ، وأرعش افئدتهنّ ، هو
هذا الحديث الذي تناوله معلم العربية عن « الزواج » ..

اني لأذكر ان معظم وجوه زميلاتي قد كسيت عند ذاك بحمرة
الحجل ، ثم تبودلت النظرات ، وتبعثها بسمات مكتومة أطلق
الاستاذ ناجي عقالها بابتسامة عريضة ثم قال :

— انني ادرك جيداً ان هذا الموضوع يهكّن ! ..

ثم أطلق ضحكة شاركنه فيها الزميلات ، فزال من صدورهن
الخوف الذي كان يراودها ! ومضى يتحدث عن هذه « المشكلة
الاجتماعية » كما سماها ، ويعبّر عن رأيه في انواع الزواج : فهو
ينكر اشد الانكار « زواج المصلحة » ، وهو يهزأ بالمال ان يكون
مسبب السعادة في الزواج ، ويرى ان تقارب المستوى الفكري بين
الزوجين وسيلة هامة للبناء الزوجية ، واستلّ يمثّل على ذلك بقوله:
— فانا مثلاً لن اتزوج فتاة نالت فقط الشهادة الابتدائية ..

ثم ضحك هنيئاً .. ولست اغالي اذا قلت ان تنبّه زميلاتي كان
قد بلغ اذ ذاك غايته ، بل لقد حسبت انني اسمع خفقات قلوبهن
تتناهى حتى اذني .. واستطرد الاستاذ يقول :

— يجب ان تبلغ زوجتي المستوى الذي بلغتّه انتن مثلاً ! ..
واسارع الى الاعتراف بانني لن انجح في تصوير الحالة النفسية
التي كانت فيها كل رفيقة من رفيقاتي ، حينلقى المعلم هذه الجملة !
لقد بدت على وجه « سامية » جميع مخايل الاضطراب والارتباك ،
فهي تبدّل جلستها كل لحظة ، وتنقل كتبها من مكان الى آخر ،

وتفتح محفظتها ثم تغلقها .. اما « نجاح » فقد غمرت وجهها بكتلتا يديها ، حتى اذا رفعتها عنه ، كانت الحمرة التي تصبغه كحمرة الشفق القانية .. واما « ناهد » فقد تهلل وجهها اشراقاً وراحت تحفي في ثنايا ضحكاتها الطويلة كل ما يعتلج في صدرها من شعور الحنين والرغبة !

في تلك اللحظة ، لم يعد يراودني اي شك في ان اعجاب رفيقائي قد تحول الى حب عميق لهذا الشاب الجميل القوي الذي يملأ نفوسهن وقلوبهن ، ولم ارتب لحظة في ان كل واحدة منهن اعتقدت بثقة وايمان انها هي المقصودة في كلام الاستاذ ، وانها ستكون .. زوجته العتيدة ! والحق ان زميلاتي رحن يتبادلن - بعد انتهاء الدرس - نظرات يردنّها ان تكون مسالمة صديقة ، فاذا هي تحوّلن وتنكشف عن الاستعداد والحسد .. لقد كانت عفاف تستمع الى كلام نجاح بشيء غير قليل من الاستخفاف والتكبر ، وكانت ناهد ترمق سامية بنظرة شذراء فيها الاحتقار والكراهة .. إلا انا ، فقد كنت محور البسمات الصادقة والود الخالص ، فانهم لم يكن يجدن في منافسة ! ..

ولم يمض اسبوعان آخران حتى لمست ظاهرتين جديدتين : اولاهما تغيب سامية عن الحضور لمرض ألمّ بها ، ولم اشك في انه « مرض الحب » ! .. والثانية ان نجاح وعفاف وناهد ونادية ، قد تقاربت ميولهن ، فاذا بالودّ يحل محلّ الحسد ، واذا بالصدّاقة توشّح بينهنّ الاواصر .. ولم اعجب لهذه الظاهرة ، فان العواطف المتماثلة والأهداف المبتغاة ، تجتمع كلها على صعيد واحد ، مهما

تباينت الوسائل .. ولاحظت كذلك ان فارستين جديدتين ظهرتتا في الميدان ، هما نعمت وراجية ، اللتان لا يفترق ظل احدهما عن ظل الاخرى .. ولكن الغريب في الأمر ، ان هؤلاء الفتيات اصبحن اكثر استعداداً واقرب مشاركة في التحدث عن الاستاذ ناجي ، غير ان حديثهن كان ينحصر في انتقاده وتوجيه الملاحظات عنه ، فاذا قالت عفاف إنه مفرط في الطول ، اجابت راجية إنه لا يُعنى بملابسه ولا يتأنق ، وتابعت نادية بانه مغرور أحياناً ، ويفتقر الى التواضع .. وسائل مصطنعة جملة لاختفاء العاطفة الحقيقية ، والتفريج عن النفس التي ارهقها التادي في الأمل والاسترسال في الترجي !

وفجأة ، ذات يوم ، سرى بين صفوف الطالبات نبأ هزهن جميعاً : لقد عقد الاستاذ ناجي خطبته على فتاة مثقفة تخرجت من مدرسة « ... »

وسارعت استطلع تأثير النبأ في وجوه زميلاتي المسكينات .. فاذا هنّ هادئات ، يكظمن - على جهد - شعور الحيبة والأسى والحرمان ، بيد انه وسعني ان ادرك من نظراتهن ان الحقد والغبط والحق تفيض من نفوسهن ..

*

وكانت مقاعد نجاح وناهد ونادية وعفاف خالية في اليوم التالي حين بدأت الدروس .. اما نعمت وراجية ، فقد ظلتا في غرفة الدرس تقرأن كتاباً لم استطع ان اعرف عنوانه .. وكان تغيب هؤلاء الفتيات كافياً لأن يحدث الاضطراب في

عقرفة الدرس ، بل في المدرسة كلها ، اذ ما كاد الحُبر يبلغ مسامع
المديرة حتى أرسلت تسأل عن سبب تغيب الفتيات في بيوتهن ..
ولم تمض ساعة ، حتى قدمت المدرسة امهات نجاح وناهد ونادية
وعفاف ، فخلت بهنّ المديرة في مكتبها ردهاً من الزمن .
وفي اليوم التالي ، عادت الفتيات المتغيبات الى المدرسة ،
ولكن الاستاذ ناجي لم يعد ..





مكتبة

كانت الدار التي نزلناها ذلك الصيف في قرية « بوارج » الهادئة ،
واقعة على كثيب مرتفع ، ويتسنى للمرء منها ان يستقضي بنظره
حدود سهل « البقاع » كلها . وكان يلذني ايما لذة ان اتبوأ كرمي
الطويل لاجيل طرفي في مفاتن هذا السهل الواسع الذي ينتظم بقعاً
مختلفة الالوان ، تسر العين وتمتعها ، ولا ينقصها اثاره من الروعة
والجمال .

و كنت اوثر الوحدة والانعزال ، لما فطرت عليه من ملازمة
غرفتي منذ نعومة اظفاري ، وكانت مفاتن الطبيعة في « بوارج »
تحدوني الى التأمل فكلفت بالقراءة والمطالعة و كنت ، اذا شرعت
طيور الدوح تصدح ، اصطحب كتابي الى شجرة غيناء ترى من
شرفة دارنا ، ويرى الذي يتفياً ظلها الوارفة عيناً قريبة يتردد
سكان القرية اليها لينزحوا من مائها .. ولقد ارتضيت ذلك المتفياً
متنسكاً اهم فيه ما حلالي بين حفيف الورق ونغمة النسيم ،
وتهويد الطيور السعيدة ..

وتوجهت ذات يوم الى متفياً في راد الضحى ، وما كنت
ابله ، حتى المتبي فتاة قروية ، تنطق بسمة ثغرها بناعم الامل وينم
بريق عينها عن مرأف العاطفة ، وتشف لفتة جيدها عن ساحر
الجمال ، فصرفتي مرآها عن استئناف التلاوة ، ورحلت اتبعها نظري

حتى بلغت العين ، وما هي الا لحظة ملأت فيها قربتها حتى عادت
يشيع المرح على وجهها الريان . ولما بصرت بي ، غاضت بسمتها وقالت
تحييني بصوت خافت : « صباح الخير » فرددت عليها السلام وترقيبتها
حتى غربت عن ناظري .. وعدت أتابع المطالعة من غير أن أفهم
شيئاً .

والمث الفتاة بي في اليوم التالي ، فاغضت ببصرها اذ لحتني ، ولم
تحييني .. ولكنني لحظت ان الحد قد احمر منها خفراً .. وعلى هذا
الحال مرت ايام تسعة ، لم يكن البدع فيها الا ان الفتاة كانت تحاول
- اذ تلمحني وتحمّر وجنتها - ان تنطق بشيء لعله طرح السلام ،
فلا تجرؤ على ذلك او لا تستطيع .. وهذا الشعور الجديد الذي
اخاله يرف في مقلتيها شغل بالي ، فصح غزمي على ان انقطع عن
النزول الى متفياي .. ولكن .. القيتني في اليوم التالي تحت الشجرة
كأنما انتظر احداً من الناس .. وعادت القروية الحسنة بعد ان
ملأت قربتها .. وأحسست قبل ان تحاذيني ، انني عطش وان اللهاث
يشند بي .. وبشيء من الاضطراب رغبت الى القروية ان تسقيني
من قربتها .. ولحمتها ترتبك اذ لم تجد ما تسقيني به ، فاذا انا أبسط
كفي ثم اضمهما ، واذا هي تميل قربتها فينحدر الماء على كفي خصباً
صافياً .. وكل ما لحظته ساعتئذ ، ان كفيها كانتا ترتعشان وهي
تصب لي الماء .. وشكرتها ، فردت لي الشكر ببسمة ساحرة .

واذ عدت الى داري في نار الظهيرة ، استشعرت لوناً من الضيق
يعازج هدوءي .. وكان طبيعياً ان يجدد الوجدان عزم الانقطاع
عن ارتياد المتفيا .. وكان عزمًا حازماً أيده الاعتقاد بان من يغرض

الى السعادة انما هو بالغها ، اذا حاول ان يبعد أي هم من ان يعرفه ،
ويقضي على أي يأس من ان يملكه .. وبلغ من حبي لهذا الرأي
« انما السعادة في هدوء البال » ، ان اتخذته عقيدة فكرية محال عليّ
نقضها .. وغلب الفكر على الشعور .. فتبوأ في اليوم التالي
كرسيّ الطويل على الشرفة الوارفة . وبعد هنيهة لحق القروية
مارة تلحظ اليها ، ثم حين لم تلف أحداً ، اخذت تجيل الطرف
حولها حائرة متوزعة الفكر .. وكذلك انقضت بضعة أيام وانا
ملازم كرسي على الشرفة ، وهي على هذه الحال من الحيرة والاضطراب .
ولحقتها ذات يوم تعطف على الشجرة وتستلنم الى ظلها الوارف ، كأنها
تستجم .. ثم انفتلت عائدة من حيث انت لم تملأ قربتها كأنها ضلت الطريق
أو سعت انها تحمل قرية .

وعلمت ان والدي تشتكي قلة الماء في الدار ، وترجوني ان ابحث
عن يزودها منه على قدر حاجتها . وبحثت طويلاً فلم اهتد الى احد
ولم أجده بداً من النزول الى متفياي انتظر ان تمر القروية الحسنة
عليها تقبل طلبنا .. وكنت اعلم ان في ذلك ايذاء لي ، ولكن لاجابة
امي اكرهتني على قبول هذا الاذى .. ولبثت انتظر الفتاة فلم
تمر .. ثم توقفتها في اليوم التالي فلم تظهر ، فرجمت ان قد يكون
تقاعدتها عن غشيان العين شغل .. ولكن ثلاثة ايام مرت بعد ، ولم
تلم بالمتفيا . وعزمت على ان اربص يوماً آخر ، ان لم تظهر لي فيه
اضطرت الى ان أحمل الماء بنفسي الى دارنا ، كي اخفف من ضيق
امي وغضبها ..

وهذا هو اليوم السادس يكاد كله ينصرم .. وهانذا أعود الى

داري وقد داخلني بعض الانشراح وآثرت ان اتحمل هذا الجهد
على ان اتحمل ذاك .. واني لفي منتصف الطريق، اذ ابصرتها آتية
مطرقة ، ثم رفعت بصرها فرأتني .. وتسنى لي ان لاحظ انها
محزونة . وفجأة رأيتها تعزم على المضي ، فلم أدر أيّ شعور عراني
فاوقفتها ، وحدقت في وجهها أريد أن اتكلم فلا يتأتى لي ذلك ..
سمعتها تقول بنبرة حادة دون ان تنجي اليّ بصرها :

- ماذا تبغي مني .. دعني .. من انت .. انا لا اعرفك .. !
.. وكان ضيق شديد يختلف عليّ ، فيشقق صدري الخافق الملح ..
وكذلك لم ادر كيف تقدر لي ان اسارع بالقول في نعم مستطيل :
- اوه .. انا اعرفك .. اعرفك .. يا ..

ارتج عليّ فلم اتم . ولكنني لاحظت ان وجهها يوشك ان يتهلل
ورنوت اليه فاخذت فتنه بمجامع فؤادي .. انه رائع فيه حسن
وفيه سحر ، وما كان يكون هكذا رائعاً ، لولان مخايل الالم
وسياء الاسى وطلائع المرض ، قد رسمت على تقاطيعه رسماً .. مؤلماً .
ثم رأيتها تسبل اشفارها الهذب ، فلم ادر ماذا تروم .. ولكنني سارعت
الى القول في صوت خافت :

- يا .. ان دارنا مفتقرة الى المياه ، فهل ترضين ان تزودينا ببعض
ماء العين ؟ فرفعت اليّ عينين حالمتين ، وأرتني منها نظرتين ساهمتين
فيهما بث وشكوى .. وتصنعت انني لم افطن ، واستعجلتها الجواب ،
فقالت بصوت هامس صحبته تنهيدة طويلة :

- نعم .. يا معلمي .. نعم يا سيدي .
وانشئت قافلا الى البيت ، وعند المنعطف ، لحظت اليها فالفيتها

حيث هي لا تريم ولا تمضي .. وسرعان ما عزمت على ألا استلين لتذلل قلبها ، فاكبح من جماح عاطفتي ، واحد من حنين روحي ، وكنت اثق ثقة لا يخاطبها شك ، ان ليس في غير ذلك ابقاء للسعادة التي ارمقها واحاول جهدي أن احتفظ بها ..

وحين افقت في صباح اليوم التالي ، وخرجت الى الشرفة ما لبث ان طلع عليّ طيف يحمل قرينة على رأسه .. انها هي .. « مياسة » .. ويا له من قوام مشوق يتخطر في دل ، ويتلوج في فتنة ..

اذ ذاك فحسب ، صحّ عزمي على ألا اظهر لها ، ما دمنا في « بوارج » ، ولعل لي في هذا العزم تحزناً من الطاعة للاغواء ، ولعل للفتاة فيه كذلك دافعاً للانصراف عني .

وكان مما هياً لهذا العزم الجو الصالح ، هذا الكتاب الذي وردني من صديق لي ، يستنزلي فيه الى داره في مصيفه الجميل « كيفون » .. وما زلت اذكر انني رأيت في منعطف قريتنا الاول - بعد ان استقلت السيارة قاصداً قرية صديقي - يداً بيضاء كانت تلوح لي بمنديل أخضر .. ونظرت من نافذة السيارة الخلفية ، فاتيح لي ان ارى تلك اليد البيضاء تهوي بذلك المنديل على العينين ..

زجيت لدى صديقي في « كيفون » تسعة أيام ، اخال ان حلاوتها ترجع الى انني ابتعدت رداً من الزمن ، عمن يحاول ان يشغل بالي .. وحين قفلت الى « بوارج » ، بشرتني أمي بوجه مشوق . ثم علمت منها انها عادت تشكي قلة الماء لان القروية « مياسة » قد انقطعت عن المجيء منذ ان غبت ، فسرني النبأ وقلت في نفسي :

لقد نسيت .

ونهضت في اليوم التالي باكراً ، فقصدت الجبل ولم أرجع الى داري إلا عند الاصيل .. وحين ولجت الدار التمت أُمي فلم أجدها ورجعت انها لدى إحدى الجارات ، ولكنني حين توجهت نحو غرفتي تطرق الى سمعي نحيب شجيّ فاندفعت ظاناً ان قد مس أُمي سوء ، ودخلت الغرفة على عجل .. وما راعني إلا ان المحها هي .. « مياسة » جالسة على كرسي دانٍ من سريري ، حانية رأسها فوق قربتها التي وضعتها على ركبتيها ، تلشّج وتلتجب .. وقادتني قدماي على رغم مني اليها .. وهأنذا أرى شعرها الاشقر الذهبي متموجاً رائعاً . واذا لامست بكفي عاتقها ، تنبّهت مذعورة ، ثم انتصبت واقفة ونظرت اليّ غاضبة ، وقالت بلهجة حازمة حادة :

— ماذا تبغي مني .. دعني .. من انت .. انا لا اعرفك ..
ولكنها ما كادت تفرغ من النطق بهذه الجملة حتى سكنت رאותها فجأة ، واتسعت حدقتها ثم انحنت عني بصرها ثم عادت فحدقت فيّ نزلة أخرى .. وفجأة انقلبت اساور وجهها ، فارتمت على الكرسي تقول بنجب هادئ :

— آه .. حلمي .. سيدي .. معلمي !

نظقت ساعتئذ على غير شعور مني باسمها ، وسألتهما ما بها فلم تجب ، فجلست على حافة سريري عن كשב منها واعدت سؤالاً . واذا ذلك رفعت اليّ عينين ارمضهما بكاء لا ينقطع ، ثم التفتت الى النافذة واعادت ذكر اسمي بنهيدة طويلة .. ومدت كفها فاخذت كفي ، ولم استطع ان افارم رغبتها فاغضيت ببصري الى الارض وان

يدي لتحترق بنار يدها.. وتكلمت « مياسة » واعلمتني انها لم تستطع
على بعدي صبراً . وانها لازمت فراشها طوال غيبتني .. واذ ذاك
غلبها البكاء ورأيتها تحني رأسها فوق وسادتي، ثم تمرغ خديها بغطائها
الرقيق فتبلله.. وكان الشعور العميق يتكاثف علي بالحيرة والاضطراب
والتردد حين سمعتها تقول :

- حامي .. حبيبي ..

وتقدمت منها فجأة، رفعت رأسها عن وسادتي، وطوقت كتفيها
بذراعي ولم احس الا ان شفتي تتماسان شفتيها ..
ونهضت اريد الخروج ، فتعلقت بذراعي وقالت بلهجة تشف
عن الامل العريض :

- يا حامي .. يا معلمي .. اتأخذوني خادمة في داركم .. أنزل
معكم الى بيروت ؟

فلم ازد عن وعدّها خيراً ، وخرجت من الدار يسوقني شعور
مبهم حائر .. وحين قطعت من الطريق شوطاً بعيداً، توقفت فجأة
وقد عراني غضب شديد ، قد يكون غضباً على نفسي .. انا الذي
يروم ان يعيش هادي البال .. وتلكني الاسف على ما بدر مني ،
وعلى ما تعجلته نحو الفتاة من الوعد والرضى ..

وافضيت الى والدتي ليلتذاك، برغبتني في تعجيل هبوطنا الى بيروت،
وعلمت ذلك بانني لم أصب في هذا الجبل أي حظ من السعادة والسرور
فوافقت على رغبتني ، قائلة انها هي الاخرى لم تجد في القرية مبتغاها ..
غير انني لم ارتض بعد ان اصدم القروية بالنبا ، لانني كنت
ارقن ان سيكون لذلك اثر غير محمود العاقبة ، فكنت احادثها من

غير تطويل . ولكنها مع ذلك كانت تقبل طروباً ، يشبع الجذل في
حماها البسام .

وتعجلنا العودة ، فاستغرق الاستعداد والتهيؤ اياماً ثلاثة ،
حاولت فيها جهدي الا اظهر للقروية وجهاً لوجه حتى لا تخرجني
أكثر مما فعلت في سؤالي عما وعدتها فيه خيراً .. وكانت هي
الآخرى لا تتوق بعد ان تسألني ..

وأشرق شمس اليوم الرابع ، وان هدوئي ليرجع اليّ رويداً
رويداً . وانهمكنا في نقل المتاع الى السيارة التي استقدمناها
باكراً لنقلنا الى بيروت . وعجبت ان لم ابصر « مياسة » تساعدنا
على نقل المتاع . ولكن صدري كان منشرحاً ، ورجوت ان يكون
سها عن بلها انه اليوم الموعود . وحمّلني فرح شديد اذ فرغنا من نقل
المتاع ولم تبدُ « مياسة » فاستعجلت السائق بالمضي ، وانطلقت
السيارة تشق طريق القرية ، واذا ذاك فحسب؛ شعرت بان الكابوس
الذي يروح تحته صدري يسقط عني ..

وبلغت السيارة منعطف القرية الاولى .. فاذا بي اراها هي ..
مياسة .. منتصبه بقامتها الفارعة المشوقة باسمة عن ثغرها الجميل
مرتدية أجمل ثيابها ، متجملة متزينة .. كانت على جمال لم أحلم به
يوماً ...

وأشارت بيدها تستوقف السائق ، فاذا بوجنتي تحمران من الخلق ،
ولم اتماسك ان اهبت بالسائق الا يلتفت ولا يلوي عليها .. فتابعت
السيارة سيرها ولكن على رود ..
وهذأت نفسي وسكنت رائعتي .. وملت الى النافذة الخلفية

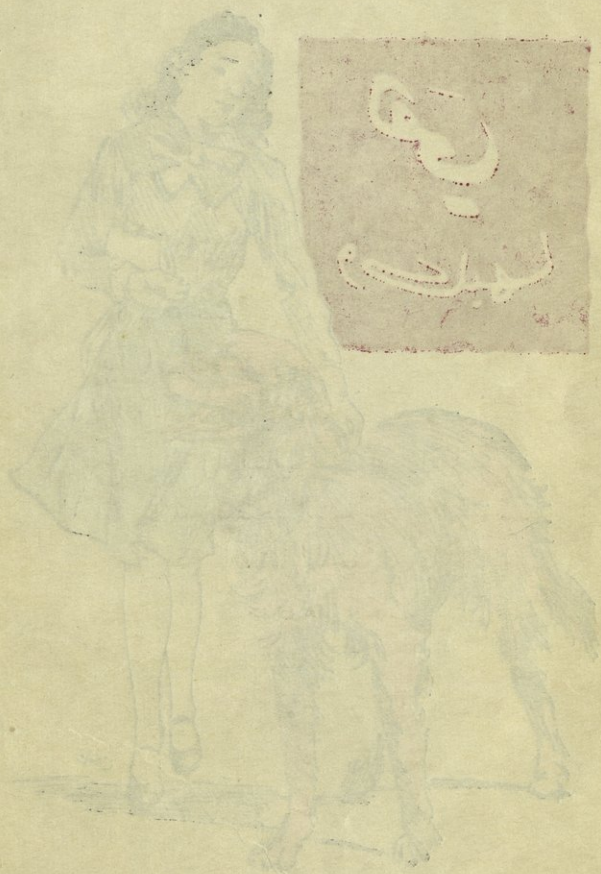
اود ان اودع القروية بإشارة من يدي .. ورأيت بسمتها تغيض ..
وسرعان ما كرز وجهها ، ولكنها مع ذلك ما انفكت تتبع السيارة
نظرها ، وفجأة لحظتها ترفع ذيل رداؤها الفضاض ، كأنها تتأهب للحاق
بنا .. وعدت قليلاً .. فرجع الي غضبي وصحت بالسائق ان اسرع .. وما
ان رأت السيارة معجلة ، حتى اسبلت ذيل رداؤها ، وتوقفت لحظة وقد
اتسعت حدقتها ، ثم عدت مرة أخرى ، ووقفت على شفاهاوية على
جانب الطريق الايسر ، ورفعت ذراعيها .. وتشوفت بنظري ، فلم
ارَ أحداً ..

عراني دوار شديد ، فارتميت على المقعد منهو كماً ، وكدت أفقد
رشدي ، فصحت فجأة بالسائق ان يقف ، وانطلقت اعدو مجنوناً غير
واع ، حتى اذا بلغت الشفا ، رميت بنظري في القرار فاذا بي أرى
جسداً قتيلاً ناهداً .. يتخبط ..

واستطعت ان المح على مقربة من الرأس صخراً صغيراً بدأ
الدم يسيل عليه .. وهبطت المنحدر مهتز الكيان ، حتى اذا بلغت
القرار ، سارعت احتضن رأس « مياسة » المجروح ، وتناولت
مندبلي اكفكف به الدم السائل على رأسها .

وفي تلك اللحظة فحسب ، ارتضت العين ان تستعبر بدمعة
واحدة .. ولكنها دمة لا يزال حرها يلهب جفني ويحرق اشفاري ..
بيد انني منذ ذلك الحين الى ساعتي هذه لم انقطع عن التساؤل :
- اليس الرغبة في الابقاء على هدوء البال ، هي التي بعثت بكل
هذا الهم الى البال ، وبكل هذا الشجوا الى الضمير ؟ ..





لَمْ يَكُنْ نَبِيلٌ يَتَوَقَّعُ أَنْ يَلْتَقِيَ بِهِ رَابِضاً عَلَى الْبَابِ الْحَارِجِيِّ ،
حِينَ قَدِمَ يَزُورُ خُطِيبَتَهُ « سَلَوَى .. » فِي بَيْتِهَا لِأَوَّلِ مَرَّةٍ . فَإِذَا بِهِ
يَتَوَقَّفُ لِحِطَاتٍ ، وَهُوَ يُحَسِّنُ أَنْ لَيْسَ بَوَسْعِهِ أَنْ يَتَصَنَّعَ الشَّجَاعَةَ
وَالْإِقْدَامَ .. فَقَدْ بَعَثَ مَرَأَى هَذَا الْكَلْبَ الْكَبِيرَ ، الَّذِي يَنْزِعُ فِي
الشَّبْهِ إِلَى ذَنْبِ كَاسِرٍ ، خَشِيَّةً فِي نَفْسِهِ ، وَرَعِشَةً خَفِيفَةً فِي جَسَمِهِ ..
وَقَدْ شَاءَ نَبِيلٌ أَنْ يَتَجَاهَلَ وَجُودَ هَذَا الْكَلْبِ ، وَيَتَكَلَّفَ
الْإِلْمَابَالَاةَ ، لَوْلَا أَنَّ عَيْنَيْنِ وَاسِعَتَيْنِ فِيهِمَا تَحَدَّثَ وَاسْتَعْدَاءَ اسْتَوْفَقْتَاهُ
عَلَى فَرْقٍ وَفَزَعٍ .. وَظَلَّ الشَّابَّ حَيْثُ هُوَ وَاقِفاً لَا يَرِيمُ ، وَغَمْرَتَهُ
الْحَيْرَةُ وَالتَّرَدُّدُ : أَيْتَقَدَّمُ فَيَقْتَحِمُ الْبَابَ غَيْرَ مَكْتَرِثٍ لِمَا عَسَاهَا
تَكُونُ الْعَاقِبَةُ ، أَمْ يَتَقَهَّقِرُ فَيَقْفُلُ رَاجِعاً إِلَى دَارِهِ ، مُنْسِئاً أَجَلَ
الزِّيَارَةِ إِلَى وَقْتٍ آخَرَ ، لَا يَكُونُ هَذَا الْكَلْبُ الْعَيْنِ رَابِضاً فِيهِ
عَلَى الْبَابِ ، كَأَنَّهُ مَكَلَّفٌ بِمَجْرَاسَتِهِ ؟

وَلَكِنْ « سَلَوَى .. » تَنْتَظِرُهُ ، وَقَدْ تُعَدِّلُ تَحْلَافَةَ عَنْ زِيَارَتِهَا ،
إِذَا قَرَّرَ الْعُودَةَ ، عَلَى غَيْرِ مَا يُحِبُّ .. وَخَطَرَ نَبِيلٌ أَنْ يَنَادِيَ
خُطِيبَتَهُ لِتَحَرَّرَهُ مِنْ هَذَا الْمَازِقِ الْحَرَجِ الَّذِي لَمْ يَتَبَّنَّ بِهِ ، وَلَمْ يَتَّخِذْ
لَهُ الْحِيطَةَ وَالْحَذَرَ .. وَلَكِنْ ، أَلَا يَعْرِضُ نَفْسَهُ لَضَحِكِهَا بَلْ
وَسَخَرِيَّتِهَا إِذَا عَمِدَ إِلَى هَذِهِ الرُّسُلَةِ ؟ !

وَآخِرُهَا ، أَزْمَعُ أَنْ يَتَقَدَّمَ ، عَلَى غَيْرِ هَيْبَةٍ أَوْ وَجَلٍ ، وَلَكِنَّهُ

ما كاد يرفع قدمه ليخطو بها خطواته ، حتى رأى ذلك الكلب الخيف ينهض متحفزاً ، ويبدأ في المهمة .. فلم يجد إلا ان يعيد قدمه حيث كانت منذ لحظات ، وقد شعر بقشعريرة تسري في كيانه ، ثم تلبث ردحاً وصاح :

- سلوى .. سوسو ..

فما راعه إلا ان يكون جواب الكلب نباحاً شديداً ملاً الجو اصداً ، ثم هدأ هنيهة ، كأنه يتبها للهجوم اذا فكر ثانية في النداء ..

وأسقط في يد نبيل ، وانقل على مهل في طريق العودة ، ولكنه سرعان ما سمع صوتها هي « سلوى .. » تناديه ، فالتفت لفت الدار ، فاذا هي على النافذة تومي له بيدها ، وتدعوه الى الدخول ، فاكتمفى بان أشار الى الكلب إشارة اوشك معها ان يسقط الى الارض متخاذلاً .. ورأى خطيبته تستغرق في الضحك ثم تنادي كلبها بالفرنسية :

- تعال .. لولو .. تعال !

واذ ذاك فقط ، استعاد نبيل قواه ، فدخل الحديقة بخطى ثابتة مطمئنة .. وحين حاذى خطيبته على مقربة من الباب ، صوب الى الكلب القابع امام قدميها نظرة تكبر واستعلاء .. وضحكت سلوى ، ثم أغلقت الباب وادخلته غرفة الاستقبال ..

بادرت الفتاة خطيبها وهي تضحك :

- لقد تأخرت عن موعدك ربع ساعة !

فاجابها نبيل على الفور :

١ - قضيتها امام الباب الخارجي يا آنستي الفاضلة !

٢ - ولماذا ؟

٣ - كنت افرج على كلبك اللطيف .. ما اسمه ؟ « لولو »
واذاعبه .. !

٤ - فضحكت سلوى ثم اجابته بهدوء :

٥ - الواقع ان « لولو » كلب على غاية اللطف والظرف .. لقد
قضى بصحبي خمسة اعوام ، فمذا ان وُلِدَ أحبيته وأحبني ، وهو
لا يكاد يطمئن الى سواي .. وما من شك في انه سيركن اليك
ويحبك بعد حين ، اذ يعتاد عليك ..

٦ - لا .. يا حبيبي .. ليكتف بحبك انت ، بالله عليك !

٧ - الواقع انني اعتبره الصديق الوحيد الامين ..

٨ - ثم استدركت ، وهي تلحظ الى خطيبها بسحر ودلال :
٩ - بعدك طبعاً !

١٠ - وما البت ان نهضت ، فعادرت غرفة الاستقبال بخفة ، ثم سمع
نبيل صوتها يلفظ بركة وعذوبة :

١١ - لولو .. تعال .. تعال يا عزيزي !

١٢ - ف ضرب الشاب كفاً على كف ، وعراه الارتباك الشديد ،
حتى انه فكر بان يختفي تحت أحد هذه المقاعد الطويلة !..

*

ولكن الحب لم يحل بين نبيل ولولو كما تفنأت سلوى ، وظلت
العلاقات بينهما سليمة. غير ان لولو كان يسمح لنبيل بان يدخل
حديقة الدار ، دون ان يستقبله بما استقبله به في اول زيارة له من

النجاح والتحدّي والتهنؤ للهجوم . وكان من البديهة ان يفقد نبيل بعض خوفه وخشيته من الكلب الكبير ، ولكنه كان 'يحاذره دائماً' ويحاط له ، ويمنعه من الدنو منه ولو تودّأ ! غير ان الذي كان يزعجه ، ان خطيبته سلوى كانت تولي كلبها قسطاً كبيراً من العناية ، فتطعمه بيدها ، وتزِيل ما يعلق بجسمه من اوساب ، وتحوطه باوفر نصيب من التدليل والعطف .. وكانت كثيراً ما تحتضنه وتنشأ تداعبه ، وتلامس شعره الأشقر الطويل وتزبّت على ظهره ورأسه بحنان . وقد رأى الشاب خطيبته تدعو كلبها غير مرّة لأن يغطس في الحوض الذي يتوسط حديقة الدار ، وسرعان ما يقذف « لولو » بنفسه في الماء ، ويأخذ في السباحة ، فيطوف الحوض عدة طوافات جذلاً مجبوراً ، حتى اذا أشارت له بإمالة خفيفة ، ففز من الحوض ، ولبث لحظات ينفض عن جلده الماء ، وما يعم ان يدنو من سلوى فيحشو امامها .. اما هي ، فتبتسم ابتسامة الادلال ، كأنها تغفر بان يكون هذا الكلب طوعً بنائها ، ثم تنحني ، فتمرّ كفّيها على ظهره المبتلّ ، وتقبّل رأسه بمرح ..

ولم يكن نبيل ليظهر غير الرضى ، ومكث لا يبدي أية إشارة ، أو يتلفظ بآية كلمة قد تتمّ عن سخطه وتبرّمه بـ « لولو » هذا ، وبما تحبوه به خطيبته من ودّ وعطف وحب .. حتى كان ذلك اليوم ! فقد خرج نبيل وسلوى ذات اصبل مشرق في نزهة هادئة ، الى ضاحية المدينة مشياً على الاقدام ، ورغبت سلوى في ان يصطحبها لولو معها ، فلم يمانع نبيل . ولاحظ الشاب حين أخذا في السير ان لولو كان يشي بمحاذاة خطيبته ، خلافاً لجميع الكلاب التي تتقدّم

اصحابها بالعادة ، بل إن لولو كان يرود حول سلوى في شبه دائرة ،
كأنما يخشى ان يذنب منها احد .. وحين ابدى الشاب ملاحظته هذه
للفتاة ، لم يجد فيها ما يدعو الى الاستغراب ، فاذا به يزداد
سخطاً وعصبية ..

وشعرت سلوى بعد حين بتعب من طول المسير ، فجلست على
صخرة ملساء ، كانت تقوم الى جانب الطريق ، ودنا لولو فقبع عن
كتب من قدميها . واقترب نبيل بعد لحظات ، فاتخذ له مجلساً على
مقربة من خطيبته ، وأنشأ يتحدثها ويستمع اليها .. وتنبه ذات لحظة
الى لولو ، فراعته منه نظرات محدّدة اليه .. وشعر لأول مرة ان
في عيني هذا السكب الخفيف معاني تجول ، لئن كان لا يتوصل الى
استكناه غورها ، انه يحسها احساساً شديداً .. كان في عينيه مثل
التحذير والتهديد والكراهية ..

وشاء ان يتجاهل هذه النظرات المحدّدة ، فاقبل على خطيبته
يضمها اليه بعد ان أمن خلو الطريق من السابلة ، ولكنه سرعان
ما رأى لولو يغادر مكانه ، ثم يحجم قبالة غير بعيد ، لا يكاد يصرف
عنه بصره .. وقال الشاب :

— اشعر يا سلوى ان لولو يغار عليك مني .. انظري اليه
كيف يتربص بي ..

فأطلقت سلوى ضحكة رنانة دون ان تهتم بالنظر الى لولو ، ثم
أحاطت عنق نبيل بذراعيها وهي تتم بشغف :

— انني لك وحدك يا نبيل فطب نفساً واطمئن ..
وركن الشاب الى تلك الغمرة الدافئة ، وضغط بذراعيه

القويتين جسم سلوى الريان ، مقرباً فمها الى فمه .. وكادت الشفاه
تلتصق ، حين روع الخطيبان بنباح لولو الشديد ، فافترقا مذعورين ..
ولم يكد الشاب ينظر ، حتى رأى الكلب يهجم عليه بوحشية
وسمر .. وكانت هذه المرة الاولى التي تشاهد سلوى فيها كلها
بهذا المنظر المرعب ، ففضشت إن هي تعرضت لتحول بينه وبين
خطيبها أن تنالها منه اذية ، فلم تجد إلا أن تردّد اسمه بصراخ ثاقب
إذ رآته يتشبث بثوب نبيل يحاول أن يمزقه وهو يهجم بانسدفاع
ولهات .. وما هي إلا لحظات ، حتى تراجع لولو ، ثم هدا واستكان ،
فأخفض رأسه ، وسار الى سلوى بخطوة وثيدة ، متجمع الجسم ،
مطرق البصر ، ثم قبع وأنشأ يمزغ رأسه بقدميها ..
ومدّت سلوى كفها تمسح به ظهر لولو ، وهي تنظر الى نبيل ،
مروّع البصر ، مذعور الفؤاد ..

*

ولم تجد سلوى بداً من النزول عند رغبة نبيل بإبعاد « لولو » عن
الدار بعد تلك الحادثة ، وبعد أن رآته يثير سخط خطيبها كلياً
زايها ، فأمرت خادمها بأن يقوده الى ضاحية بعيدة من ضواحي
المدينة ، فيضيعة في ارجائها ..

وجلس في اليوم التالي الى نافذتها حزينة على فراق كليها الذي
عاشها أطوال خمسة اعوام ، ولكنها هبت فجأة بعد لحظات ، حين
رأت لولو يدخل حديقة الدار منهوك القوى ، شديد اللهاث ..
وسرعان ما أحست بالدمعة تطفر الى خدها ، فهرعت اليه واحتضنته
بلوعة وأنى ، وأنشأت تمسح ظهره ورأسه وتشبعه اشماً وتقبيله ،

تكاد في كل لحظة تنخرط بالبكا ..

وآلت يومذاك على نفسها أن تولي كلبها اضعاف ما كانت توليه
من عطف ومحبة ، وان تقنع خطيبها بالآتي يلح في إبعاده ، بعد أن
أظهر هذه الامانة وهذا التعلق الشديد . وُسرت الفتاة بالغ السرور
إذ رأت لولو يتودد الى نبيل ، ويستقبله في كل زيارة له بالاطراق
والصمت .. ولم يجد الشاب إلا ان يغضي ويصرف اهتمامه عن لولو ..
ولكن سلوى افاقت ذات صباح على صوت نبيل محتلماً بنباح
لولو .. وحين اطلت من نافذتها على الحديقة ، رأت لولو هاجماً على
نبيل ، منتصباً على رجليه الخلفيتين ، متشبهاً بشوب الشاب ، يحاول
ان يمزقه ، ثم اذا به يهبط فيأخذ في عض رجل نبيل ، وهذا
يدافع عن نفسه بكل ما يملك من قوى ، فيركل الكلب بقدميه ،
ويدفعه عنه بيديه مقبوضتين ..

وحين خرجت سلوى مضطربة جزعة ، شاهدت الدم يسيل من
جرح عميق في ذراع نبيل ، وألفت جوانب من ستورته ممزقة ..
وما لبثت ان رأت خطيبها يتراجع ويكاد يسقط خائراً ، فشعرت
بوجات من الغضب الشديد والحنق البالغ تتدافع في صدرها ، فاذا
هي تتناول هراوة غليظة كانت ملقاة غير بعيد ، وتأخذ تنهال بها
ضرباً على رأس لولو وظهره .. ثم تتوقف فجأة اذ ترى كلبها يتجمع
على نفسه ، ويزحف زحفاً بطيئاً حتى يداني قدميه ، فيخفض رأسه
حتى يتلوث فمه بالتراب ..

وتنقتل سلوى ، فتمسك بذراع خطيبها ، وتدخل به الدار
لتمسح جراحاته وتضمدها ..

وما يلبثان ان يخرججا ، فيبحثا بانظارهما عن لولو ، فلا يراه ..
ويهبطان الحديقة ، ويتطلعان فاذا بهما يلقيان لولو غارقاً في جوف
الحوض ..

وترقي سلوى منتحبة باكية بين ذراعي نبيل ، فيأخذ خطيبها
يحفف دموعها بشفتيه .. ثم يراها تهتم بالكلام ، فيسارع الى اسكانها
بقبلة حاملة ، شعر بانها القبلة الاولى التي يقطفها من شفتي خطيبته ،
هاديء البال ، مطمئن النفس ، قرير العين !..





نهضت سامية من سريرها ذلك النهار 'تحسّ الرضى وتستشعر
 الفرح ، ولكنها كانا رضى وفرحاً ينتهيان بغير ما ينتهي به رضى
 الناس وفرحهم . ذلك انهما كانا يربوان حتى يستحيلان الى حنين
 عميق ، وينموان فاذا هما شوق مضطرم ..
 ولكن اي حنين ذاك ، وشوق إلام هذا الشوق ؟ ذلك ما لم
 تكن سامية لتدريه ، وإن كان صدرها يعلم ويهبط خافقاً لشدة
 الاحساس به وقوة الشعور بمقداره ومداه .. أيكون حلماً قد
 داعب امانيتها وآمالها هذه الليلة فحسرها عما لم تظهر عليه مرة
 واحدة في اليقظة ، وحقق لفؤادها صوة ما كانت لتتحقق له في دنيا
 وعيه ؟ ولكن ، إن كان ذلك هو الواقع ، فهل يلزم منه هذا
 الشعور الراهن بالفرح والرضى ، وقد تلاشى ذلك الحلم ؟ ..
 إن هذا الشعور قد خلق في حقيقة الأمر شوقاً الى شيء بدع
 لم تتذوقه بعد ، الى شيء تودّه وترومه من كل جوارحها ، وإن
 كانت لا تفلح في تعرف سرّه وبلوغ كنهه .. فهو قد يكون
 ساورها من قبل ولم يعه وجدانها ، او قد يكون وعاء ثم كبت ،
 ولكنه اليوم ، بل في هذه الساعة اشدّ ما يكون شوباً وحيوية
 ونقد بصر سامية من النافذة ، فاذا السماء صافية صفاء يقرب
 من الشفافية ، واذا الرياض بهجة بهجة خيل اليها انها تحول الى

غناء عذب وشدو رقيق ، واذا الناس يغدون ويروحون بنشاط
واندفاع ، كأنما سلخوا عمراً طويلاً في الركود والهجوم ، فاقبلوا
الآن يستنفدون نشاطهم في السير والترويض .

وظفرت سامية بحفة من سريرها ، فاذا هي امام المرأة ..
ونظرت ، فرأت او خيل اليها انها ترى رسماً مشرقاً لم تعهده من
قبل : رأت ذلك الجسد الملتف المشوق تتأوج عليه ثنايا تلك
المنامة الحريية الصفراء ، فتجسده فتنة وسحراً واغراء ..
واحتت تلك الارتعاشات تتجاوب فيه على احاسيس رقيقة مرهفة
تلم به ، كأنها موجات متتالية من الكهرباء .. كانت اقباساً
ملتصية من نار جسد بدأت حيويته تليقظ بعد طويل استغراق في
همود المراهقة ..

وانفجرت ذراعاً سامية فتشئت ، ومطّى جسدها الريان مستغرقاً
في تنهيدة طويلة ، حارة ، صعدتها الاعماق بلهفة وحنين . ثم
اشتبكت ذراعها ، فاذا كفأها تلامسان الصدر ، واذا بها تحسّ
احساساً جديداً راودها لأول مرة ، فلذلك لها ان تداع كفها رديحاً
من الزمن على الصدر الناهد ، تتعمان بدفته وتنتشيان بحرارته ..
ثم تنبّت سامية بعد غفلة خالت انها اسبلت في اثناها جفنيها ،
وتناولت اصبع الأحمر ، فصبغت به شفيتها بعناية وإتقان ، ثم
تراجعت خطوة ، وحتت رأسها ، فلم تجد إلا ان تبسم .. وخطر
لها اذ ذلك ان تشبه شفيتها بكومي وردة تتفتح اجفانها لنور ..
وودت لو ان لحظة تقع على تلك الوردة ، او على ذينك الكتفين ،
فتمتص نداهما وتشور غسلها بلذة ونهم ! ..

وعادت سامية تتشوّف وتترّين ، ولم تحسّ رغبة في تناول شيء من طعام الصباح الخفيف ، واجتزأت بفنجان القهوة والحليب ، ثم مكثت حيناً على تردد وحيرة .. واضطراب ، لا تدري ما الذي ينبغي عليها ان تعمل . وحسبت انها تشبع رغبتها إذا خرجت للتنزه والتفرّج ، فجاست وقتاً طويلاً خلال الحدائق والطرق ، ولكنها كانت ترى الرجال والشبان مسرعين الى شؤونهم واعمالهم يكادون لا يولونها احد نظراتهم .. ثم اتجه لذهنها ان تزور اصدقاءها وصديقاتها ، ولكنها عادت الى دارها اشدّ شوقاً واعنف رغبة واكثف شعوراً بالفراغ .. لقد بشّرها « صادق .. » بآيات التعجّب والدهشة ان تزوره في ساعة لم تعتد ان تزوره فيها ، فلم تلبث طويلاً حتى غادرت داره وإنها لتكن له موجدة وحقداء .. و« سالم » ؟ كم كان فاتراً في استقبالها ، وكم اظهر من الملل والتبرم في محادثتها .. وكذلك كان من امر رانب وعصمت .. لقد خيل اليها ان هؤلاء الشبان ، بل جميع الشبان ، جبلوا بالجفاء والحشونة والتصلّب جبلاً ، وجردوا من معاني العطف والرفقة ! واما صديقاتها ، فقد الفت اكثرهن ينظر اليها نظرة اشفاق وعطف ، بل ورثاء .. ولمست انهن جميعاً كنّ دونها في الحيوية ، واضعف منها عاطفة وحساسية . لقد شعرت اذ ألمّت بصديقتها « عفت » بانها جمره ملتبّية مفعمة بالشعور العارم ، ازاء قطعة من الفجح لا حسّ فيها ولا شعور .. وايقنت انها أرقش جسداً وأرهف عاطفة ، واروع جمالاً من ليلي ونوال ..

كانت سامية تجيل هذا كله في فكرها وقلبها حين حاذت دارها

في طريق العودة . ولكنها سرعان ما توقفت فجأة في وسط السلم
وإذا بها تنقل فتبسط بسرعة ، وتأخذ في السير المجد ، كأنما تختبئ
أن تعاردها الرغبة في دخول الدار !

وقادتها خطواتها ، فجازت منعطفين دون أن تعي تماماً ما تفعله ،
ثم قطعت شارعاً طويلاً ، وحين ألمت بمنعرجه ، رفعت بصرها
فوقعت عيناها على لوحة :

« الدكتور سامح .. »

فاذا بفيض من شعور الاطمئنان والرضى يغمر أرجاء نفسها ،
فتبدو على وجهها مخايل الانشراح وسمات السرور ، وعلمت السلم
بجفّة ورشاقة ، وإن تلك الارتعاشات الهادئة لتبتعث فيها النشوة
طاغية مفعمة ..

وتوقفت لحظات في قاعة الانتظار قبل أن تطرق الباب
وتساءلت :

« ولكن ما الذي أشكوه حتى أزور الدكتور سامح ، أو
اية شكوى ادّعي ؟ » وما لبثت أن ابتسمت ، ثم تقدمت بخطى
متهادية ، فطرفت باب العيادة ، فاذا بالدكتور سامح يستقبلها
ببشاشته المعهودة ويرغب اليها أن تجلس ، ثم توجه الى مكتبه
يُنهي بعض اعماله العاجلة .. ولفت ذات لحظة في سامية فراها
تنزع عنها معطفها برعدة خفيفة ، فبادرها بقوله مبتسما :

- ولكن .. يحسن يا آنسة سامية ان تحدديني قبل عما
تشكين ، فقد لا يكون حاجة بلجع المعطف ؟ !
فاذا هي تجيب بسرعة ، كأنما كانت قد أعدت جوابها :

- كيف لا يكون لي حاجة بخلع المعطف ؟ انني احس بان صدري .. ينطبق على اضلعي حتى ليشمها .. ضيق شديد في صدري .. يادكتور !

وكانت تنطق هذه الكلمات بحوية ظاهرة ، وحين نهض الدكتور متوجهاً اليها بغية فحصها ، رآها تسارع الى الكرسي الطبي الطويل في زاوية الغرفة ، فتمدد عليه وتشرع في حلّ ازرار ثوبها عند صدرها ..

وأخذ عجب بالغ جعله في حيرة من امرها .. لقد كانت سامية تزوره قبل الآن فلا تبدي مثل هذا التعجل ، حتى اذا عمت بالذهاب ، ودعته ببسمة خجلة ونظرة خفوة ! ولكنه الآن يراها منهكة في حلّ الازرار ، حتى ليخيل اليه انها تودّ ان تنزع كل ما يستتر جسدها .. لا شيء إلا لتعري ! ..

- ولكن .. على رسلك يا آنسة ..

لم يكن يملك ان يقول غيرها ، فهو بعد في حيرة العجب والدهشة .. وسمعها نغمغم :

- ولكن .. يادكتور .. لا طاقة لي بعد على تحمّل هذا الضيق الشديد ..

وكانت قد فرغت من حلّ الازرار كلها ، حين أخذت تحسر عن صدرها على رود ، دون ان ترفع الى الطبيب نظرها . ولم يجد الدكتور سامح إلا ان يتناول « الساعة » ويسير الى الفتاة وعلى وجهه سماء التبرّم .. ووسّع ان يمدّ يده فيردّ طرفي الثوب لدى الصدر بلا مبالاة ظاهرة ، ثم يتناول معصم الفتاة بحسّ النبض

وبعد خفقاته على ساعته .. ولاحظ انها تزلقه ببصر حديد ، فلم
يأبه لها ، ثم رفع السماعة الى اذنيه ، وقد وضع طرفها الآخر على
صدرها ثم عاد فرد طرفي الشوب . وطلب اليها ان تستنشق
الفواء ملء رئتيها ثم تفرغه في تنفس طويل ، فاذا هي تسبل
جفنيها . ويتالى شهيقها وزفيرها على عجل وسرعة .. واحس بيدها
تتدد رويداً رويداً الى يده التي تمسك طرف السماعة على صدرها
وتدفعها بحركة تشنجية .. وابث خطاات ، ثم رفع يده بالسماعة
عن صدرها وقال بخشونة :

لا... لا شيء في الصدر . انما انت تتوهمين .

ففتحت عينها على مبل ، وحدقت فيه ، ثم قالت بلهجة غاضبة :

- تقول .. لا شيء في الصدر؟ ولكن .. ادن مني يادكتور!

فلم يرم من مكانه ، فاذا بها تستوي قليلاً ، فتجذبه من ذراعه

وتثبت بيده ثم تضغطها على نهدها الأيسر ، وتعود فتزني على

الكروسي وهي تقول في انفاس متلاحقة مغممة :

- هنا .. هنا الألم .. يادكتور !

واستمر ضغط يدها يشد بيده على صدرها ، ثم امرتها عدة

مرات عليه وهي تتمتم :

- أجل .. هنا يادكتور سامح .. هنا يا سامح !

وسرعان ما نزع الدكتور يده بعصبية غاضبة ، ثم انشأ يتحدث

فيها بنظر يتطاير منه الشرر ، وتراجع خطوتين نحو مكتبه ، وهو

ما يزال محدداً نظره بها ، وقال بجفاء :

- انهضي ايها الآنسة .. ما إليّ كان ينبغي ان تأتي .. اما انا

فليست إلا طبيباً .. وطبيباً شرفاً .. من قبله ..
ونظروا ، فإذا أضفوة تكسو وجهها ، فتذبل ذلك بالأحرار الذي
كان يصبع وجنتيها منذ حين ، وإذا عيناها تغلبت
فما تدواران في بحارها .. وأفهم الدكتور سلامح ، إذ فتحت فاتها بان
الشعور الذي يدفعها للكلام إنما هو شعور الجرام يتمتلك به هباب
كلمات قليلة لا يملك غيرها للدفاع عن نفسه :

- ولكن .. يادكتور .. إن صدري يؤلني ألماً شديداً !

فاجاب الطبيب دون ان ينحي اليها بصره :

- كلا .. ايها الأنسة .. انت لا تشكين الماء ، وانما ..

ولم يتم ، وخشيت هي ان يتم جملة .. وشعرت بكابوس
ثقيل ينزاح عن عاتقها اذ كف عن متابعة الكلام ، وامتدت
كفها وجعلت ترر ثوبها بتأت وحرص ، وقد جمعت كتابتها عليها
كأنما تخشى ان يظهر منه شيء ..

ونهمزت على مهل ، فتناولت معطفها وخرجت دون ان تلوي
على شيء بعد ان اغلقت باب غرفته ، كأن اغلاق هذا الباب
اصبح كلّهما الآن ! وسارت خطوات في قاعة الانتظار يجول في
فكرها سؤال معذب :

- ماذا .. إنه يعلم ما اشكو .. فلماذا ؟ ..

وتابعت اعماقها الحديث : « حقاً .. انه صخر .. صخر أحم ! »
وخيل اليها ان كل ما في هذه الغرفة يرد معها هاتين
الكامتين .. حتى هذا الجدار .. كل صخرة من صخوره الصماء ..
وما علمت ، اذهبطت السلم ، ان الدكتور سامح كان يرقبها

من نافذته ، فيراها تُخرج ، عن غير احساس منها ، إصبع الأحمر ،
فتأخذ تحفّ به شفتيها بعنف وقسوة واندفاع ، كأنما هي مزمنة
على ان تذوّبه عليهما تذويباً .
فأسفق الدكتور سامح ان يُدمي الشعور العارم شفتيها تينك :
كميّ وردة تتفتح اجفانها للنور ..





كانت على أحرّ من الجمر ، تنتقل بين غرف الدار ، بخطى مضطربة ، حائرة ، خطى محموم تثقل عليه وطأة الحمى ، فما يدري الذي ينبغي عليه ان يفعل ليخفف من شدتها .. ثم تخرج إلى الشرفة وتحقق في المنعطف البعيد تتربّص ان يبدو طيفه .. هو ابنها ، بل ان يبدو ايّ طيف آخر .. فما اقسى هذا المنعطف الذي لا يدفع من جوفه احداً ! ..

وتعود تقول لزوجها في لهجة نشيج : ان بالي مشغول عليه .. واخشى ان يكون قد أصابه شيء . ان البلدة على اضطراب وغليان ، وقد نصحنه الا يخرج فأبى .. ويجيبها زوجها في سكون :

- هديّ من روعك ، فلن يلبث طويلاً حتى يعود ..
وحين خرجت للمرة العشرين إلى الشرفة لمحت في المنعطف البعيد جمعا من الناس يتقدم بخطى وثيدة ..
وخفق صدرها خفقاً شديداً . وخالجها شعور خشية واشفاق ، وراودت فكرها صورة أبت ان تطمئن إليها .. وتمتمت شفتاها :
- لا .. لا ميمح الله .

ولكن الجمع كان يقترب رويداً رويداً .. وبدأت الام تتبينه على وضوح .. انهم اربعة اشخاص بل خمسة .. وحدّقت : انهم

يحملون بين ايديهم جسداً .. واعتمدت بيدها على الحاجز . وقد
انتابها رعشة .. ثم نادى زوجها تقول :
- انظر من يحملون ..

وبعد لحظات سمع زوجها صرختها تدوي :

- هاني .. حبيبي ... هاني !!
وتلقاها زوجها بين يديه وقد اغمى عليها .. ودخل حمسة شان
يحملون هاني والدم يتدفق من جراح عميقة في ساقه .. وهو يئن
من فرط التعب والاعياء كلمات لا تكاد تبين .
واقبل الاطباء يضمّدون الجراح .. واجمعوا فيما بينهم
على ان يجرّوا هاني عملية عاجلة لاستخراج الرصاصة التي استقرت
في داخل عظمة الساق .

وقال احد الاطباء للوالد :

- ان العملية لا بدّ منها ، ولكن لسنا على يقين من نجاحها ..
فقد يصعب علينا استخراج الرصاصة ، وقد نضطر الى .. بتر الساق ..
واهتز الوالد ارتجافاً وذعراً ، وترقرقت في محجريه دمعتان
امسكتهما الرجولة ان تنحدرا .

واستعادت الوالدة وعيها بعد حين ، فاذا هي تذرف الدمع
مدراراً وتتنجب .. ثم تتنبه فجأة كأنها كانت في غفلة وتأخذ تصيح :
- ماذا حدث له ؟ بم اصاب .. اخبروني .. هل يتألم هاني ؟
هل عليه من خطر ؟ !

ولم تشأ ان تستقر ، ولم ترد ان تنزل على رغبة الاطباء في ان
تسكن وتهده اكراماً لولدها الجريح المتعب .. ودخلت حيث

سجى هاني وهي تقول بصوت مرتفع :
.. قلت له ألا يخرج .. قلت له إن الحالة مضطربة .. قلت له
ابق في البيت .. هاني لماذا فعلت ذلك ؟ ..
وتكلم ذلك المسجى . تكلم بغضب والم وبصوت يهتز اهتزازاً
وبروح تعصر العذاب اعتصاراً :

- أمي .. اسكتي .. لا تردي المي .. خرجت لانه كان من
واجبي ان اخرج .. خرجت لان اختيار الوطن وقع علي لتأدية
الامتحان مع اخواني الشبان .. خرجنا من البيوت .. ولولم نخرج
لما ثار لبنان ، ولما اطلق الرصاص ..

وصمت هاني ، كأنما اجهد الكلام ثم تمتم :
- آه .. كيف سامي ؟ رأيتہ يسقط مثلي . وكيف عصام
وفؤاد وفيليب ؟ طمئنوني عنهم .. لقد اصيبوا مثلي .. ولكن
ارجو ألا يتالموا كما اتالم ..
واستمزت الام تذرف .. ولكن في صمت هذه المرة .. لقد
ارتفع صوت الفكر فكان على صوت العاطفة ان يصمت ! ..

*

- واجريت العملية لهاني ووفق الاطباء إلى استئصال الرصاصة .
بيد ان الشاب قاسى في ذلك الواناً من العذاب والالم .. وكان
لابني يسأل الاطباء ، ووالده واصدقاؤه حوله :
- حدثوني .. ماذا حدث ؟ هل رجع رئيس الجمهورية ؟ وهل
عاد رئيس الوزارة وصحبه الوزراء ؟ واي خائن رضي ان يتعاون
مع الخائن الاعظم في تأليف الحكومة ؟ ..

وكان الاطباء يجيبونه :

- ينتظر ان يخرج الجميع بين اللحظة والاخرى . ان البلاد العربية
تغلي .. وان الدول الحليفة تحنج .. ومن المتوقع ان يعود ابطال
العرين معززين موفوري الكرامة ..

فيتعامل هاني في فراشه ويتم :

- اذن .. لم نعمل شيئاً بعد .. ويجب ان نتأهب للعمل من

جديد ..

ثم يحدّق في العلاء بعينين ملهوفتين ويقول بضراعة : هني
القوة يا الهي لأستأنف مع رفاقي الجهاد الذي بدأناه !

وامره الاطباء ان يستقر ويهدأ خشية ان يصيب ساقه الالتهاب ،
فيضطروا إلى بترها .. وهدأ هاني على مضض ، وان في صدره
لثورة تغلي ! وحين لمس اصدقاؤه ان صحته في تحسن مستمر طلبوا
إليه ان يقص عليهم الحادث .. وقال هاني :

« كنا أكثر من اربعمائة شاب تجمعوا من شتى المدارس .
ومشينا بخطوات ثابتة نمر صدورنا الايمان بحقنا ، ونهتف من
اعماق قلوبنا :

- يعيش لبنان المستقل ! يحيا رئيس الجمهورية ورئيس الوزارة
والوزراء .. ! نطلب عودة الرئيس وصحه .. !
وهتف احدنا :

- فليسقط الاستعمار الفرنسي !

فانطلقت حناجرنا تردد هتافه حتى مجت ، كأنها كانت تبحث منذ
طويل عن ضالتها فاذا هي تجدها ، فتروح تعبر عن أحاسيسها بقوة

واندفاع . ورأينا الشبان ينضمون إلينا من كل صوب ، فازددنا
إيماناً وشجاعة ، وتابعنا السير هاتفين منشدين .. حتى برزت لنا
سيارة مصفحة .. ثم ثانية ثم ثالثة .. ونظرنا فإذا جنود يوجهون
إلينا بنادقهم ولا ينتظرون إلا الإشارة لاطلاق الرصاص .. وكاد
بين منا العزم ، وأحسست أن من الندالة والجبن أن نتفرق ، وإن
نضعف ، فإذا أنا اهتف من جديد :

— يعيش لبنان المستقل !.. —

وراعني أن يردد الشبان حولي هذا النداء بأقوى مما رددوه من
قبل ، فاطمأنت لانني تبقت أن كثيرين يشعرون شعوري ..
وكنّا توقفنا لحظات ، وتوقفت المصفحات أمامنا .. وإذا نحن فجأة
نسير ، ونحن نحمل قلوبنا على راحتنا ، وهم يحملون بنادقهم
ورصاصهم ، وعدنا نحجي لبنان ونهتف له .. وإذا صوت الرصاص
يدوي ، فيختلط نداؤنا بدويه .. وحين سقطت شاعراً بالـم في ساقى ،
نظرت حولي ، فإذا كثيرون يسقطون مثلي .. وسمعت « فؤاد »
يقول وهو يترنح ويكاد يسقط :

— يعيش لبنان !.. يعيش رئيس الجمهورية !.. —

ورأيت الكثيرون يحولون تفادي الرصاص ، ومضت لحظات ،
ولم أعد أشعر بشيء .. ثم الفيتني هنا في البيت ، وحولي الاطباء ..
وأراح هاني يده على فخذه وصمت لحظة ثم قال :
— ولكنني سأسقى بأذن الله .. وسنعود الى العمل لانني اعتقد
أن الجهاد لم ينته بعد .

وما كاد هاني يبلغ هذا المبلغ من روايته حتى فتح الباب فجأة ،

واطل شاب بصيح بصوت فرح : يا شباب .. لقد عاد الرئيس
 والوزراء .. يا شباب .. البشرى لكم .. لقد عاد الرئيس
 وعادوا معززين ، والجمهير تهتف لهم في الشوارع ورواص
 الفراح يتسددون في كل مكان ترافقه الهتافات والاناشيد ..
 وهبّ الشبان من مجالسهم وراحم هاني يتسربون بسرعة الى
 الخارج وهم يصرخون صرخات ثاقبة تم عن فرح بالغ كان مكبوتاً
 فاطلق صراخه .. وشعر هاني انه يناديهم : يا شباب ..
 محمود .. سمح .. سعيد .. خذوني معكم .. خذوني
 معكم .. بالله عليكم انتظروني ..
 ولكن احداً لم يسمعه .. فقد كان ضرورهم يضم منهم الآذان
 ويعملون الابصار .. وأحسّ هاني بنفحة من القوة تسري في كيانه
 فاذا هو يدفع عن جسمه الغطاء ، ويستقيم في سريره ثم يقفز الى
 الأرض .. كان يتحرّق شوقاً لرؤية اولئك الذين خلقوا لبنان من
 جديد ، وبعثوا في اركانه روح القوة والعزم .. ولكن هاني سقط
 على الارض وهو لا يشعر بانه وقف على رجليه ..
 لقد شلت ساقه ..
 وظل هاني قابلاً حيث سقط .. وما لبث ان يكى ..
 هاني .. لا لأن قدمه قد عذمت الاحساس ، ولكن لأنه كان يريد
 ان يري الرئيس واصحابه .. فاذا هذه الفرضة تفوته ..

*

او وقف مرة مدير كلية المقاصد في قلاية المدرسة يحمل بين يديه

علم لبنان الجديد .. وراه الطلبة يشرق بدمعه ثم يقول بصوت
متهدج :

« أتدرون من الذي ارسل لنا هذا العلم ؟ .. لقد ارسله هاني ..
هاني الذي كان يسير في طليعة الطلاب حين انهمر عليهم الرصاص ..
ثم اخرج المدين قصاصة من الورق قرأ فيها :
« اهدي هذا العلم اللبناني المفدى الى زملائي تلاميذ الكلية الذين
استرکوا معنا في المظاهرة ضد الظلم والعدوان .. »
وضجت القاعة بالتصفيق وانطلقت حناجر فتية تنشد النشيد
اللبناني ثم وقف احد التلاميذ يهتف :

- يعيش زميلنا هاني .. !
فيردد الطلاب عبارته باندفاع وقوة .
وبعد اسبوع واحد طرق وزير الدفاع الوطني باب دار «هاني»
وانحنى على الشاب فقبله في جبينه وقال :
- اننا لنفخر بك كل الفخر .. ايها الزميل . اجل .. انت
زميل لنا في الجهاد فتقبل منا هذا الوسام .
ثم علق على صدره وسام الاستحقاق اللبناني .
وبكى هاني .. يومذاك ..

*

ومنذ يومين رأيت هاني في الطريق سائراً على تؤدة وهو يعتمد
على عكاز .. فاقبلت اسلم عليه بشوق وحنين . ثم توقفت انظر اليه
وانا لانا انبس .. وفطن هو الى انني اتطلع الى قدمه ، ولحظ على
وجهي غمامة حزن .. وهممت ان اتلفظ بكلمات اعرب بها عن

شعوري في ذلك الموقف ولكنه بادرني يقول :

- لا .. لا تقل شيئاً ..

ثم ابتسم ابتسامة صادقة وزبّت على كتفي وهو يقول :

- أتريد أن ترثي لي لأن رجلي قد شلت ؟ لا .. لا .. انت

مخطي .. انه لشرف عظيم اولاني لبنان اياه .. انه تذكّر ثورة ...

فهرست



۵	اشواق
۲۳	امومة
۳۷	امراة
۴۹	نداء الاعماق
۵۹	صراع
۷۳	ظامئات
۸۵	راحة الضمير
۹۷	هي .. وكتبها
۱۰۷	تفتح وردة
۱۱۷	تذكر ثورة

تتبع

١٤٦٥	٥
١٤٦٦	٧٧
١٤٦٧	٧٧
١٤٦٨	٧١
١٤٦٩	٧٥
١٤٧٠	٧٧
١٤٧١	٥٨
١٤٧٢	٧٧
١٤٧٣	٧٧
١٤٧٤	٧٧

السلسلة السيكولوجية

مؤلفة من أربعة وعشرين كتاباً

ظهر منها :

- ١ - علم النفس يدلك على الطريق ١٣ - ثروة للتوزيع !
- ٢ - شخصيتك ... كيف تقويتها ؟ ١٤ - سعاد الحياة !
- ٣ - قوة الارادة ١٥ - التنويم المغناطيسي
- ٤ - الموت للخجل ! ١٦ - حرب على التعب !
- ٥ - عدوك الأول : الخوف ! ١٧ - سيكولوجية النساء
- ٦ - ذلك الشعور بالنقص ! ١٨ - فن الترويح عن النفس
- ٧ - النزفة ١٩ - الذائكرة
- ٨ - حذار من الهم ! ٢٠ - التوتر الاعصاب
- ٩ - فن معاملة الناس ٢١ - تفسير الاحلام
- ١٠ - كيف تحل مشاكلك ؟ ٢٢ - كيف تنام
- ١١ - مفتاح الشخصيات ٢٣ - فن القراءة والدرس
- ١٢ - الایحاء الذاتي

تمن النسخة ليرة لبنانية، من الجزء الاول حتى الخامس عشر
وستون قرشاً ابتداء من الجزء السادس عشر

سلسلة الثقافة الجنسية

مؤلفة من عشرة كتب

ظهرت كلها :

- | | |
|----------------|-------------------------------|
| الطبعة الثانية | (١) ما يجب أن لا يجمله كل شاب |
| الطبعة الثانية | (٢) « « « لا تجمله كل فتاة |
| | (٣) « « « « زوجة |
| | (٤) « « « لا يجمله كل زوج |
| | (٥) « « « « رجل بعد الأربعين |
| | (٦) طبيعة المرأة التناسلية |
| | (٧) طبيعة الرجل التناسلية |
| | (٨) الجانب الجنسي من الزواج |
| | (٩) أسرار الحياة الجنسية . |
| | (١٠) الزواج الناجح |

ثمان النسخة ١٥٠ قرشاً لبنانياً

أو ١٧٠ فلساً أو مليماً وملاً

صدر عن دار العلم للملايين

قرش لبناني

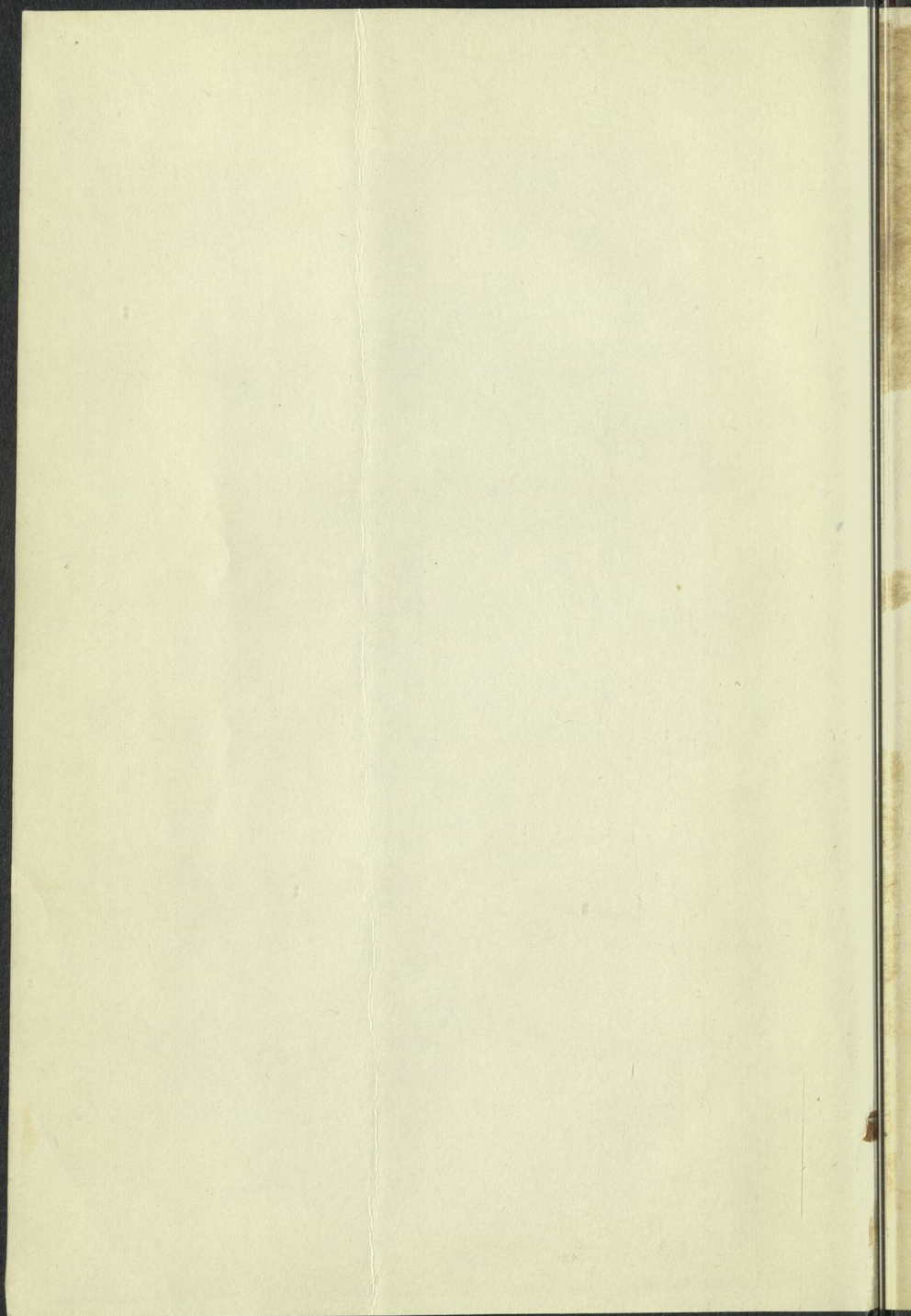
- | | | |
|------------------------------------|---------------------------|-----|
| العرب | للدكتور فيليب حتي | ٤٠٠ |
| منهج البحث في الادب واللغة | ترجمة الدكتور محمد مندور | ١٥٠ |
| قضية العرب | للاستاذ علي ناصر الدين | ٢٥٠ |
| التربية الوطنية | (طبعتان مدرسية وعامة) | |
| | للاستاذة جحا وشلا ومحصاني | ٤٠٠ |
| الاسلام على مفترق الطرق | ترجمة الدكتور عمر فروخ | ٢٠٠ |
| تجديد مناهج إعداد المعلمين بالعراق | للدكتور خالد الهاشمي | ٤٠٠ |
| السلسلة السيكلوجية (٢٤ كتاباً) | من ١ - ١٥ | ١٠٠ |
| | من ١٦ - ٢٤ | ٦٠ |
| سلسلة الثقافة الجنسية (عشرة كتب) | | ١٥٠ |
| العرائس (شعر) | للاستاذ ابراهيم العريض | ٢٢٥ |
| سعد زغول | للاستاذ قدري قلعجي | ١٥٠ |
| نحو التعاون العربي | للدكتور عمر فروخ | ١٠٠ |
| على المحك | للاستاذ مارون عبود | ٤٠٠ |
| كيف تغلب الانسان على الألم | للدكتور نقولا فياض | ٢٠٠ |
| أشواق | للاستاذ سهيل ادريس | ٢٠٠ |

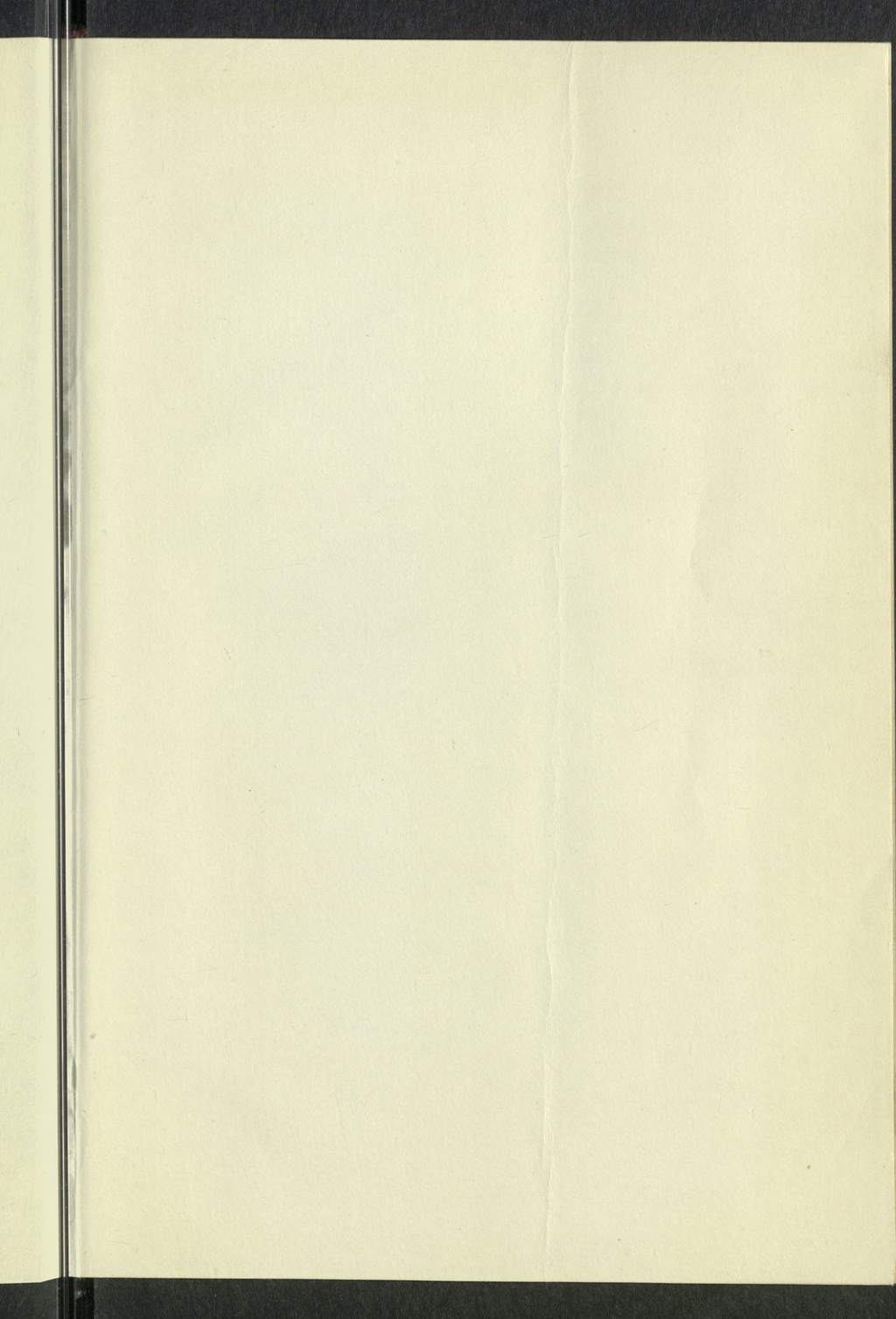
تذکرہ کتب خانہ دار الفہرست

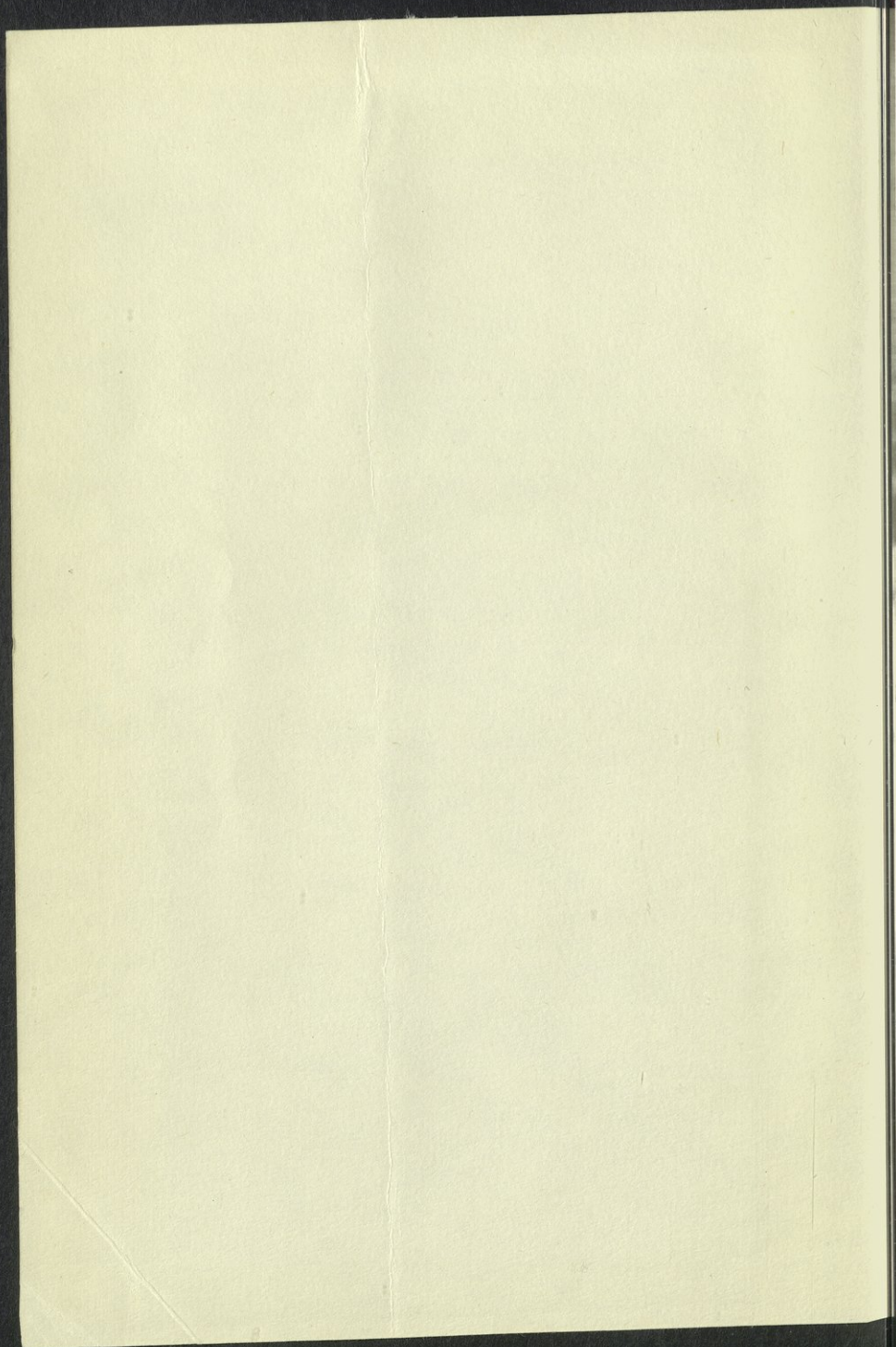
۱۷

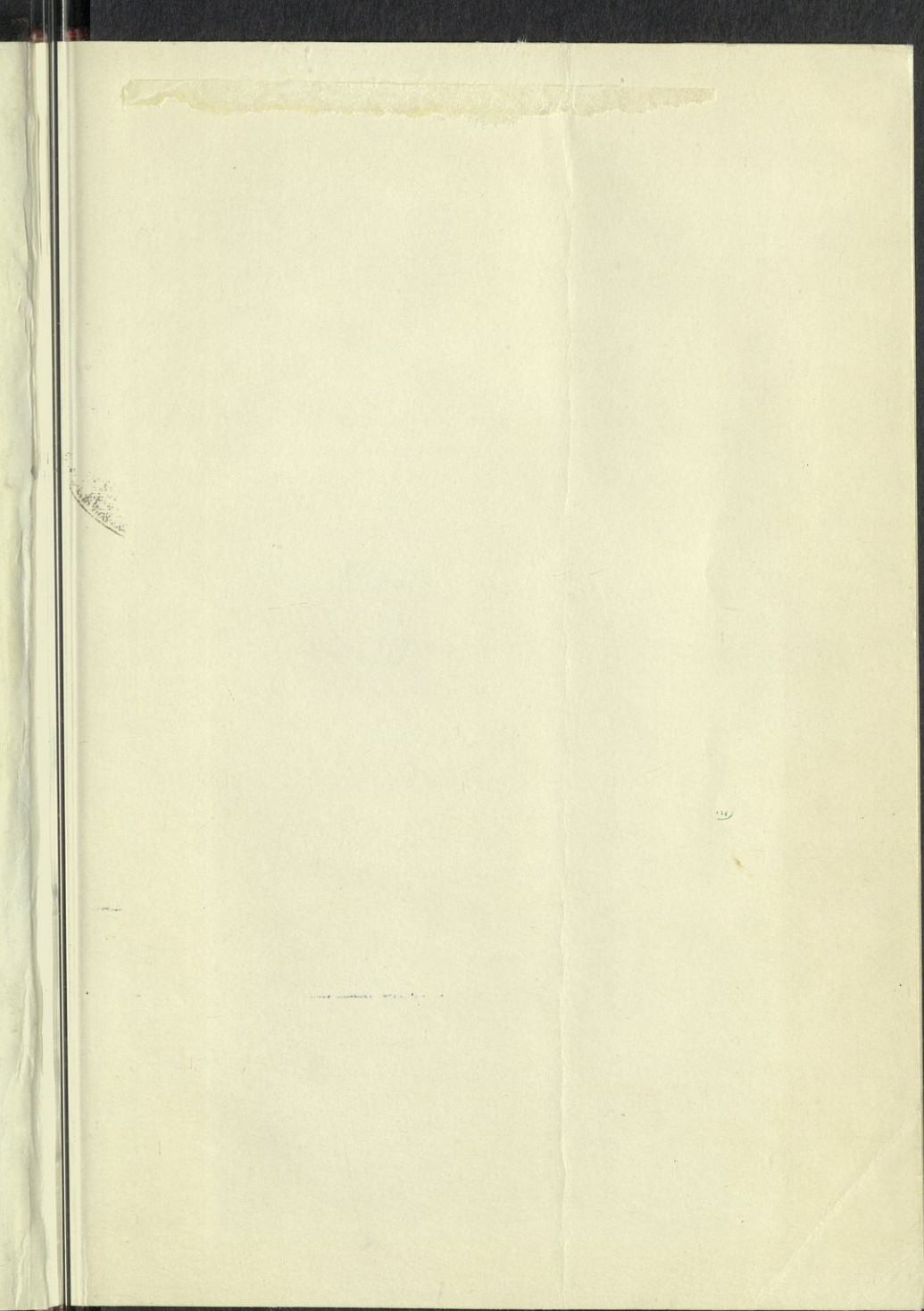
- | | | |
|-----|-------------------------------------|-----|
| ۰۰۳ | تذکرہ سیدہ عیسیٰ علیہ السلام | ۱۰۰ |
| ۰۰۴ | تذکرہ سیدہ خدیجہ علیہا السلام | ۱۰۰ |
| ۰۰۵ | تذکرہ سیدہ زینب علیہا السلام | ۱۰۰ |
| ۰۰۶ | تذکرہ سیدہ فاطمہ علیہا السلام | ۱۰۰ |
| ۰۰۷ | تذکرہ سیدہ ریحانہ علیہا السلام | ۱۰۰ |
| ۰۰۸ | تذکرہ سیدہ ام کلثوم علیہا السلام | ۱۰۰ |
| ۰۰۹ | تذکرہ سیدہ ام سلمہ علیہا السلام | ۱۰۰ |
| ۰۱۰ | تذکرہ سیدہ ام حبیبہ علیہا السلام | ۱۰۰ |
| ۰۱۱ | تذکرہ سیدہ ام المومنین علیہا السلام | ۱۰۰ |
| ۰۱۲ | تذکرہ سیدہ ام الفضل علیہا السلام | ۱۰۰ |
| ۰۱۳ | تذکرہ سیدہ ام العباس علیہا السلام | ۱۰۰ |
| ۰۱۴ | تذکرہ سیدہ ام الدرداء علیہا السلام | ۱۰۰ |
| ۰۱۵ | تذکرہ سیدہ ام ایمن علیہا السلام | ۱۰۰ |
| ۰۱۶ | تذکرہ سیدہ ام ایمن علیہا السلام | ۱۰۰ |
| ۰۱۷ | تذکرہ سیدہ ام ایمن علیہا السلام | ۱۰۰ |
| ۰۱۸ | تذکرہ سیدہ ام ایمن علیہا السلام | ۱۰۰ |
| ۰۱۹ | تذکرہ سیدہ ام ایمن علیہا السلام | ۱۰۰ |
| ۰۲۰ | تذکرہ سیدہ ام ایمن علیہا السلام | ۱۰۰ |
| ۰۲۱ | تذکرہ سیدہ ام ایمن علیہا السلام | ۱۰۰ |
| ۰۲۲ | تذکرہ سیدہ ام ایمن علیہا السلام | ۱۰۰ |
| ۰۲۳ | تذکرہ سیدہ ام ایمن علیہا السلام | ۱۰۰ |
| ۰۲۴ | تذکرہ سیدہ ام ایمن علیہا السلام | ۱۰۰ |
| ۰۲۵ | تذکرہ سیدہ ام ایمن علیہا السلام | ۱۰۰ |
| ۰۲۶ | تذکرہ سیدہ ام ایمن علیہا السلام | ۱۰۰ |
| ۰۲۷ | تذکرہ سیدہ ام ایمن علیہا السلام | ۱۰۰ |
| ۰۲۸ | تذکرہ سیدہ ام ایمن علیہا السلام | ۱۰۰ |
| ۰۲۹ | تذکرہ سیدہ ام ایمن علیہا السلام | ۱۰۰ |
| ۰۳۰ | تذکرہ سیدہ ام ایمن علیہا السلام | ۱۰۰ |

۷۰-۱-۷۷









ادريس، سهيل

اشواق: قصص

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES



01037901

